توجيهات قرآنية في التعامل مع المال
في ضوء قصة قارون

بحثٌ مُقدَّمٌ إلى

المُؤتمَرِ الدَّوليّ الأوَّل لكليَّةِ أُصُول الدِّين والدَّعوةِ بالمنصورة

بعنوان

التَّدابير الشَّرعيَّة والعَمَليَّة في مُواجهة مَوجةِ الغلاءِ العالميَّة

الأحد ٣ مارس ٢٠٢٤ م

إعداد

الدكتور / محمود عباس محمود مجر

مدرس التفسير في كلية أصول الدين بالمنصورة

ملخص البحث باللغة العربية

توجيهات قرآنية في التعامل مع المال في ضوء قصة قارون

محمود عباس محمود مجر

قسم التفسر وعلوم القرآن، كلية أصول الدين والدعوة، جامعة الأزهر، المنصورة، مصر.

البريد الإلكتروني: magarawy@gmail.com

الملخص:

يتحدث هذا البحث عن قصة قارون المترف الباغي، موضحًا ومفصلًا نصائح قومه له في التعامل الأمثل مع المال، كما يتعرض البحث لمواقف الناس من زينة المال مبينًا دور العلم في حماية أهله من فتنة المال، وبيّن البحث كذلك عاقبة التكبر بالمال ومصير الهالكين بسببه، ولم يغفل البحث إبراز الدروس المستفادة من القصة في مشاهدها المختلفة .

الكلمات المفتاحية: توجيهات، القرآن، المال، قارون.

ملخص البحث باللغة الإنجليزية

Quranic guidance on dealing with money in light of the story of Qarun

Mahmoud Abbas Mahmoud Magar
Department of Interpretation and Qur'anic Sciences, Faculty of Fundamentals of Religion and Da'wah, Al-Azhar University, Mansoura, Egypt.
Email: magarawy@gmail.com

Abstract:

This research talks about the story of the rich, unjust Qarun, explaining his people's advice to him in optimal dealing with money. The research also clarifies people's attitudes towards the adornments of money, indicating the role of knowledge in protecting its people from the temptation of money. The research also clarifies the punishment of arrogance with money and the fate of those who perish because of it. The research did not neglect showing the lessons learned from the story in its various scenes.

Keywords: directions, the Qur'an, money, Qarun.

المقدمة

الحمد لله رب العالمين، الرحمن الرحيم، مالك يوم الدين .

والصلاة والسلام على خاتم النبيين، وإمام المرسلين، ورحمة الله للعالمين سيدنا محمد، وعلى آله وصحبه أجمعين.

وبعد ..

فإن المال له أهميته في الحياة، ولا يُستغنى عنه، فهو من أجلّ نعم الله في هذه الدنيا . قال الله تعالى: ﴿الْمَالُ وَالْبَنُونَ زِينَةُ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا﴾ [الكهف: ٤٦] .

وقد نبّه القرآن الكريم على أخذ الحيطة والحذر عند التعامل مع المال . قال تعالى: ﴿إِنَّمَا أَمْوَالُكُمْ وَأَوْلَادُكُمْ فِتْنَةٌ وَاللهُ عِنْدَهُ أَجْرٌ عَظِيمٌ﴾ [التغابن: ١٥] .

والنّعم كلها – ومنها المال – مَن قام فيها بما يرضي مولاه نجا، ومَن غفل عن شكر الله فيها، وجعلها غاية لا وسيلة هلك بها .

ولهذا بيّنت السنة النبوية أن المال إذا كان مع عبدٍ يخاف الله، ويعمل بمرضاة الله فيه، كان محمودًا مرغوبًا، ومن ذلك: حديث «إِنَّ اللهَ يُحِبُّ الْعَبْدَ التَّقِيَّ، الْغَنِيَّ، الْخَفِيَّ»(١) .

وحديث: "لاَ حَسَدَ إِلَّا فِي اثْنَتَيْنِ: رَجُلٌ آتَاهُ اللهُ مَالًا فَسُلِّطَ عَلَى هَلَكَتِهِ فِي الحَقِّ، وَرَجُلٌ آتَاهُ اللهُ الحِكْمَةَ فَهُوَ يَقْضِي بِهَا وَيُعَلِّمُهَا"(٢) .

وقد أوضح لنا القرآن الكريم والسنة النبوية التعامل الأمثل مع المال باعتباراته المتعددة:

= من حيث الكسب والإنفاق: فينبغي أن يُكتسب من الحلال، أو يصير إلى مالكه بطريق

---

(١) مسلم ٢٢٧٧/٤ كتاب الزهد والرقائق – رقم (٢٩٦٥) .

(٢) البخاري ٢٥/١ كتاب العلم – باب الاغتباط في العلم والحكمة – رقم (٧٣)، ومسلم ٥٥٩/١ كتاب صلاة المسافرين وقصرها – باب من يقوم بالقرآن ويعلمه– رقم (٨١٦) واللفظ لهما .

مشروع كالهبة والميراث، وأن يُنفق في غير معصية أو إسراف .

= ومن حيث تنازع الحقوق فيه، ففي المال حق لله، وحق لمالكه، وحق لأصوله وفروعه ممن يعول، وترتيب الأولويات في المال طريق الصلاح .

= ومن حيث الموازنة فيه بين مطالب الدنيا وطلب الآخرة به، وهذه هي التي صرحت بها قصة قارون كما جاءت في سورة القصص، وزادت القصة توجيهات أخرى تتعلق بالتعامل مع المال، وهي التي يُحاول هذا البحث إبرازها .

وقد أردت أن أسهم في هذا المؤتمر المبارك الذي تقيمه كليتنا العامرة بهذا البحث الذي يجمع بين الكلام عن توجيهات تتعلق بالتعامل مع المال، وقصة قرآنية، ومنهج التفسير التحليلي للآيات الكريمة موضوع البحث، فهذه هي **أسباب اختيار الموضوع** .

أما عن **الدراسات السابقة** فكثيرة، لكنها في المجمل تنقسم إلى قسمين:

أولا: دراسات عامة تتناول تفسيرة سورة القصص كاملة – بما فيها قصة قارون – أو تتناول حديث القرآن عن المال، ومن هذه الدراسات العامة:

١- سورة القصص دراسة تحليلة لمحمد مطني – دكتوراه بكلية العلوم الإسلامية جامعة الأنبار.

٢- سورة القصص دراسة تحليلية موضوعية لمحمود عبد الخالق خلة – ماجستير بكلية أصول الدين الجامعة الإسلامية بغزة .

٣- المال في القرآن الكريم دراسة موضوعية لسليمان الحصين – سلسة الرسائل الجامعية طبعة دار المعراج الدولية .

ثانيًا: دراسات خاصة تتناول قصة قارون بالدراسة والتحليل، ومن هذه الدراسات الخاصة:

١- من بلاغة القرآن الكريم في قصة قارون للدكتور عبد الحليم محمد شادي .

٢- القواعد والقيم من خلال قصة قارون في القرآن الكريم للدكتورة منال أحمد الكاف .

٣- دروس وعبر من قصة قارون لعلي بن نايف الشحود .

خطة البحث:

يتكون البحث من مقدمة وتمهيد وخمسة مباحث، كالتالي:

مقدمة: تشتمل على أهمية الموضوع وأسباب اختياره والدراسات السابقة وخطته.

التمهيد: فيه التعريف بسورة القصص، وموقع قصة قارن منها .

المبحث الأول: قارون "المترف الباغي" .

المبحث الثاني: توجيهات سديدة في التعامل مع المال في ضوء نُصح قومه له .

المبحث الثالث: زينة المال ومواقف الناس منها ودور العلم في تهذيب أهله.

المبحث الرابع: عاقبة البغي بالمال .

المبحث الخامس: دروس وعبر من قصة قارون .

المراجع.

وأخيرًا أسأل الله العظيم رب العرش العظيم أن يكتب بهذا البحث النفع لكاتبه وقارئه.

د. محمود عباس محمود مجر

مدرس التفسير وعلوم القرآن

بكلية أصول الدين والدعوة بالمنصورة

جامعة الأزهر

التمهيد

وفيه مطلبان:

المطلب الأول: التعريف بسورة القصص:

سورة القصص مكية كلها[١]، وقيل: مَكِّيَّةٌ إِلَّا قَوْلَهُ ﷻ: ﴿الَّذِينَ آتَيْناهُمُ الْكِتابَ﴾ إِلَى قَوْلِهِ: ﴿لَا نَبْتَغِي الْجاهِلِينَ﴾ [القصص ٥٢- ٥٥]، وَفِيهَا آيَةٌ نَزَلَتْ بَيْنَ مَكَّةَ وَالْمَدِينَةِ وَهِيَ قَوْلُهُ ﷻ: ﴿إِنَّ الَّذِي فَرَضَ عَلَيْكَ الْقُرْآنَ لَرادُّكَ إِلى مَعادٍ﴾ [القصص ٨٥][٢]، وهي خمسة آلاف وثمانمائة حرف، وألف وأربعمائة وإحدى وأربعون كلمة، وثمان وثمانون آية[٣]، نزلت بعد سوة النمل[٤]، فترتيب نزولها موافق لترتيبها في المصحف[٥].

سميت بسورة القصص لاشتمالها على قوله تعالى: ﴿فَلَمَّا جاءَهُ وَقَصَّ عَلَيْهِ الْقَصَصَ قالَ لا تَخَفْ نَجَوْتَ مِنَ الْقَوْمِ الظَّالِمِينَ﴾ [القصص: ٢٥]، الدالة على أن مَن هرب من مكان الأعداء إلى مكان الأنبياء - اعتبارًا بقصصهم الدالة على نجاة الهاربين وهلاك الباقين بمكان الأعداء - أمِن مِن الهلاك، مع اشتمالها على ما لا يشتمل عليه غيرها من أنباء موسى - عليه السلام -[٦].

وقال صاحب التحرير والتنوير: "سميت سورة القصص ولا يعرف لها اسم آخر، ووجه التسمية بذلك: وقوع لفظ القصص فيها عند قوله تعالى: ﴿فَلَمَّا جاءَهُ وَقَصَّ عَلَيْهِ الْقَصَصَ﴾

---

(١) تفسير القرآن العزيز لابن أبي زمنين ٣١٦/٣ .

(٢) انظر: تفسير القرآن للسمعاني ١٢٠/٤، ومعالم التنزيل في تفسير القرآن للبغوي ٥١٢/٣ .

(٣) الكشف والبيان عن تفسير القرآن للثعلبي ٢٣٢/٧ .

(٤) التسهيل لعلوم التنزيل لابن جزي الكلبي ١٠٩/٢ .

(٥) التفسير الوسيط لسيد طنطاوي ٣٦٩/١٠ .

(٦) محاسن التأويل للقاسمي ٥١٣/٥ بتصرف يسير .

[القصص: ٢٥]، فالقصص الذي أضيفت إليه السورة هو قصص موسى الذي قصه على شعيب – عليهما السلام – فيما لقيه في مصر قبل خروجه منها، فلما حكي في السورة ما قصه موسى كانت هاته السورة ذات قصص لحكاية قصص، فكان القصص متوغلا فيها، وجاء لفظ القصص في سورة يوسف، ولكن سورة يوسف نزلت بعد هذه السورة"[(١)] .

المطلب الثاني: موقع قصة قارون من سورة القصص:

كان من صنوف أذى أئمة الكفر للنبي – ﷺ – والمسلمين، ومن دواعي تصلبهم في إعراضهم عن دعوته اعتزازهم بأموالهم ﴿وَقَالُوا لَوْلَا نُزِّلَ هَذَا الْقُرْآنُ عَلَى رَجُلٍ مِنَ الْقَرْيَتَيْنِ عَظِيمٍ﴾ [الزخرف: ٣١] أي على رجل من أهل الثروة، فهي عندهم سبب العظمة ونبزهم المسلمين بأنهم ضعفاء القوم .

وقد تكرر في القرآن توبيخهم على ذلك كقوله: ﴿وَقَالُوا نَحْنُ أَكْثَرُ أَمْوَالًا وَأَوْلَادًا﴾ [سبأ: ٣٥]، وقوله: ﴿وَذَرْنِي وَالْمُكَذِّبِينَ أُولِي النَّعْمَةِ﴾ [المزمل: ١١] الآية، وكان فيما تقدم من الآيات قريبًا من قصة فرعون قوله تعالى: ﴿وَمَا أُوتِيتُمْ مِنْ شَيْءٍ فَمَتَاعُ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَزِينَتُهَا وَمَا عِنْدَ اللهِ خَيْرٌ وَأَبْقَى أَفَلَا تَعْقِلُونَ (٦٠) أَفَمَنْ وَعَدْنَاهُ وَعْدًا حَسَنًا فَهُوَ لَاقِيهِ كَمَنْ مَتَّعْنَاهُ مَتَاعَ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا ثُمَّ هُوَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ مِنَ الْمُحْضَرِينَ (٦١)﴾ [القصص: ٦٠ – ٦١] .

وقد ضرب الله الأمثال للمشركين في جميع أحوالهم بأمثال نظرائهم من الأمم السالفة، فضرب في هذه السورة لحال تعاظمهم بأموالهم مثلا بحال قارون مع موسى، وإن مثل قارون صالح لأن

---

(١) التحرير والتنوير للطاهر بن عاشور ٦١/٢٠، وجاء ذكر (القصص) في سورة يوسف في قوله تعالى: ﴿نَحْنُ نَقُصُّ عَلَيْكَ أَحْسَنَ الْقَصَصِ بِمَا أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ هَذَا الْقُرْآنَ﴾ [يوسف: ٣]، كما وردت أيضا في سورتي: آل عمران الآية ٦٢، والأعراف الآية ١٧٦ .

يكون مثلا لأبي لهب ولأبي سفيان بن الحارث بن عبد المطلب قبل إسلامه في قرابتهما من النبي – ﷺ – وأذاهما إياه، وللعاصي بن وائل السهمي في أذاه لخباب بن الأرت وغيره وللوليد بن المغيرة من التعاظم بماله وذويه.

فقوله: ﴿إِنَّ قَارُونَ كَانَ مِنْ قَوْمِ مُوسَى﴾ [القصص: ٧٦] استئناف ابتدائي لذكر قصة ضربت مثلا لحال بعض كفار مكة وهم سادتهم مثل الوليد بن المغيرة وأبي جهل بن هشام، ولها مزيد تعلق بجملة ﴿وَمَا أُوتِيتُمْ مِنْ شَيْءٍ فَمَتَاعُ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَزِينَتُهَا وَمَا عِنْدَ اللهِ خَيْرٌ وَأَبْقَى أَفَلَا تَعْقِلُونَ (٦٠) أَفَمَنْ وَعَدْنَاهُ وَعْدًا حَسَنًا فَهُوَ لَاقِيهِ كَمَنْ مَتَّعْنَاهُ مَتَاعَ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا ثُمَّ هُوَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ مِنَ الْمُحْضَرِينَ (٦١)﴾ [القصص: ٦٠ – ٦١][1].

(١) انظر: التحرير والتنوير للطاهر بن عاشور ٢٠/ ١٧٤.

المبحث الأول: قارون المترف الباغي

أولاً: الآيات:

قال تعالى: ﴿إِنَّ قَارُونَ كَانَ مِنْ قَوْمِ مُوسَى فَبَغَى عَلَيْهِمْ وَآتَيْنَاهُ مِنَ الْكُنُوزِ مَا إِنَّ مَفَاتِحَهُ لَتَنُوءُ بِالْعُصْبَةِ أُولِي الْقُوَّةِ﴾ [القصص: ٧٦]

ثانيًا: بيان ما اشتملت عليه الآيات من صفات قارون:

قارُون: اسم أعجمى مثل هرون، ولم ينصرف للعجمة والتعريف، ولو كان فاعولا من قَرَن لانصرف[١] . قال صاحب التحرير والتنوير: "قارون: اسم معرب أصله في العبرانية (قورح) بضم القاف مشبعة وفتح الراء، وقع في تعريبه تغيير بعض حروفه للتخفيف، وأجري وزنه على متعارف الأوزان العربية مثل طالوت وجالوت"[٢].

وقد تضمنت الآيات ثلاثة أوصاف لقارون: أنه من قوم موسى، وأنه بغى عليهم، وأنه صاحب كنوز عظيمة.

الوصف الأول: ﴿إِنَّ قَارُونَ كَانَ مِنْ قَوْمِ مُوسَى﴾:

وصفُه بأنه من قوم موسى يحتمل ثلاثة معاني: أنه من القوم الذين بُعث موسى - عليه السلام - إليهم أي من بني إسرائيل، أو من قومه الذين آمنوا به، أو من أهله وذوي قرابته، وكل هذه المعاني صادقة ومتحققة في قارون. فقارُونَ هو قارون بن يصهر بن قاهث بن لاوى بن يعقوب عليه السلام، ﴿مِنْ قَوْمِ مُوسى﴾ كان ابن عمه لأن موسى هو ابن عمران بن قاهث، وممن آمن به، فعن قتادة قال: وكان قارون ابن عم موسى أخي أبيه، وكان قطع البحر مع بني إسرائيل، وكان يُسمّى الْمُنَوَّرَ من حسن

---

(١) الكشاف عن غوامض حقائق التنزيل للزمخشري ٤٢٩/٣ .

(٢) التحرير والتنوير للطاهر بن عاشور ١٧٥/٢٠ .

صوته بالتوراة[١]، ولكن عدو الله نافق كما نافق السامري فأهلكه الله لبغيه[٢]. وقيل في قرابة قارون من موسى – عليه السلام – أنه كان ابن خالته وهو قول ابن عباس، وقيل: كان عمه قاله ابن إسحاق[٣].

والذي يقتضيه السياق هنا أن قارون كان من بني إسرائيل فبغى عليهم، أي كان واحدًا منهم ومع ذلك بغى عليهم وتكبر، أو كان من قوم موسى المؤمنين به فانقلب حاله إلى الكفر والبغي – وإنما عدل عن أن يقال: كان من بني إسرائيل، لما في إضافة قوم إلى موسى من الإيماء إلى أن لقارون اتصالا خاصًا بموسى فهو اتصال القرابة، وافتتاح القصة بحرف التوكيد للاهتمام بالخبر، ومناط الاهتمام هو مجموع ما تضمنته القصة من العبر التي منها أنه من قوم موسى فصار عدوًا له ولأتباعه[٤].

ولعل التعبير هنا بقوله (من قوم موسى) دون (بني إسرائيل) لأن الأول أخص، فـ(بني إسرائيل) تشمل نسل يعقوب – عليه السلام – جميعهم، و (قوم موسى) أهل دعوته من بني إسرائيل .

فإن قيل: قوله تعالى ﴿وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا مُوسَى بِآيَاتِنَا وَسُلْطَانٍ مُبِينٍ (٢٣) إِلَى فِرْعَوْنَ وَهَامَانَ وَقَارُونَ فَقَالُوا سَاحِرٌ كَذَّابٌ (٢٤)﴾ [غافر: ٢٣ – ٢٤] يدل على أن قارون لم يؤمن بموسى قط لا ظاهرًا ولا باطنًا[٥].

---

(١) وعند الثعلبي: "قال قتادة: وكان يسمّى المنوّر لحسن صورته ولم يكن في بني إسرائيل أقرأ للتوراة منه" الكشف والبيان للثعلبي ٢٦٠/٧، وتعليل تسميته بالمنور لحسن صورته أوفق من التعليل بحسن الصوت، لكن هذا الأخير هو ما جاءت به كتب التفسير بالمأثور المشهورة.

(٢) انظر: جامع البيان للطبري ٦١٦/١٩، وتفسير ابن أبي حاتم ٣٠٠٥/٩، والتفسير المنير لوهبة الزحيلي١٥٨/٢٠ .

(٣) انظر: مفاتيح الغيب للفخر الرازي ١٣/٢٥ .

(٤) انظر: التحرير والتنوير للطاهر بن عاشور ١٧٦/٢٠ .

(٥) انظر: التفسير المظهري لثناء الله المظهري ١٧٩/٧ .

قلت: لا تنافي بين كون فرعون من أهل الإيمان وإرسال موسى – عليه السلام – له، فقد يكون إرسال الرسول لتعديل سلوك اجتماعي أو اقتصادي، كما أرسل الله شعيبًا ليأمر قوله بقوله: ﴿أَوْفُوا الْكَيْلَ وَلَا تَكُونُوا مِنَ الْمُخْسِرِينَ (١٨١) وَزِنُوا بِالْقِسْطَاسِ الْمُسْتَقِيمِ (١٨٢) وَلَا تَبْخَسُوا النَّاسَ أَشْيَاءَهُمْ وَلَا تَعْثَوْا فِي الْأَرْضِ مُفْسِدِينَ (١٨٣) ﴾ [الشعراء: ١٨١ – ١٨٣].

الوصف الثاني: ﴿ فَبَغَى عَلَيْهِمْ ﴾ والبغي هو: التكبر والظلم ومجاوزة الحدّ[١] .

وقد قيل في بغي قارون أنه كان عاملا لفرعون على بني إسرائيل فكان يبغي عليهم ويظلمهم . وقال قتادة: بغى عليهم بكثرة المال. وقال الضحاك: بغى عليهم بالشرك . وقال شهر بن حوشب: زاد في طول ثيابه شبرًا[٢].

وما روي عن الضحاك أن بغي قارون هو الشرك يُراد به أنه كفر بموسى بعد أن كان من المؤمنين به، وأما ما روي عن ابن حوشب أن قارون زاد في طول ثيابه شبرًا يُراد به أنه زاد في ثيابه شبرًا على ثياب الناس وهذا يعود إلى التكبر، إلى غير ذلك مما يصدر عمن فسد اعتقاده[٣].

وتقييد البغي بكونه بغى على قوم موسى يُفسّر أنه بمعنى الظلم لهم حين ملكه فرعون عليهم، ويفسر أنه الكبر والبذخ بكثرة ماله وتطويل ثيابه، فإن قيل: إن كفره ليس بغيًا عليهم وإنما هو ظلم لنفسه، أجيب بأن كفره إذا كان فتنة للقوم – وهو ما جاءت به القصة – كان بغيًا عليهم .

وقيل: قوله ﴿إِذْ قالَ﴾ ظرف لبَغَى، أي: طغى حين وُعِظ ولم يقبل ما وُعظ به[٤]، فيكون بغيه

---

(١) انظر: المفردات في غريب القرآن للراغب الأصفهاني صـ١٣٧ مادة (بغي)، والمعجم الوسيط لمجمع اللغة العربية ٦٤/١ .

(٢) انظر: جامع البيان للطبري ٦١٦/١٩، وتفسير ابن أبي حاتم ٣٠٠٦/٩، ومعالم التنزيل للبغوي ٥٤٣/٣ .

(٣) انظر: المحرر الوجيز لابن عطية ٢٩٨/٤، ومفاتيح الغيب للفخر الرازي ١٤/٢٥.

(٤) الكشاف للزمخشري ٤٣٠/٣ .

عليهم: هو عدم قبوله وعظهم ونصحهم.

قال ابن عاشور: "وجملة ﴿ فَبَغَى عَلَيْهِمْ ﴾ معترضة بين جملة ﴿إِنَّ قَارُونَ كَانَ مِنْ قَوْمِ مُوسَى﴾ وجملة ﴿وَآتَيْنَاهُ مِنَ الْكُنُوزِ﴾ والفاء فيها للترتيب والتعقيب، أي لم يلبث أن بطر النعمة واجترأ على ذوي قرابته؛ للتعجيب من بغي أحد على قومه"(١).

الوصف الثالث: ﴿وَآتَيْنَاهُ مِنَ الْكُنُوزِ مَا إِنَّ مَفَاتِحَهُ لَتَنُوءُ بِالْعُصْبَةِ أُولِي الْقُوَّةِ﴾

هذا بيان للغنى الذي كان عليه قارون، فالله - ﷻ - أعطاه كنوزًا من الأموال لا حصر لها، ولذا وصفت الآية مفاتح الخزائن لا الخزائن نفسها فضلا عما في الخزائن من الكنوز؛ تلك المفاتيح تعجز الجماعة من الرجال الأشداء عن حملها.

وقد روى ابن أبي حاتم بسنده عَنِ الْوَلِيدِ ابن زُرْوَانَ فِي قَوْلِهِ: ﴿وَآتَيْنَاهُ مِنَ الْكُنُوزِ﴾ قَالَ: كَانَ قَارُونُ يَعْمَلُ الْكِيمِيَا(٢). قلت: ولهذا القول وجه في ردّ قارون الآتي: ﴿قَالَ إِنَّمَا أُوتِيتُهُ عَلَى عِلْمٍ عِنْدِي﴾ [القصص: ٧٨]، وعليه يكون المراد بالمفاتح ما قاله أبو مسلم حيث قال: المراد من المفاتح: العلم والإحاطة، كقوله تعالى: ﴿وَعِنْدَهُ مَفَاتِحُ الْغَيْبِ﴾، والمراد: وآتيناه من الكنوز، ما إن حفظها والاطلاع عليها ليثقل على العصبة، أي هذه الكنوز لكثرتها واختلاف أصنافها، يتعب حفظها القائمين على حفظها(٣).

والكنوز جمع كنز: وهو المال المدخر، فهو مجاز بجعل المدخر كالمدفون إن كان الكنز مخصوصًا به، وقيل: سميت أمواله كنوزًا إذ كان ممتنعًا من أداء الزكاة، وقد أمره موسى عليه السلام بأدائها

---

(١) التحرير والتنوير للطاهر بن عاشور ١٧٦/٢٠ .

(٢) تفسير ابن أبي حاتم ٣٠٠٧/٩ .

(٣) انظر: البحر المحيط لأبي حيان ٣٢٤/٨ .

فأبى وهو من أسباب عداوته إياه[١].

والمفاتح جمع مِفتح وهو الذي يفتح به الأبواب، وقد روى الطبري بسنده عن خيثمة في قوله تعالى: ﴿مَا إِنَّ مَفَاتِحَهُ لَتَنُوءُ بِالْعُصْبَةِ أُولِي الْقُوَّةِ﴾ قال: نجد مكتوبًا في الإنجيل مفاتح قارون وقر ستين بغلا غرّا محجلة، ما يزيد كل مفتاح منها على أُصبُع، لكل مفتاح منها كنز[٢].

وقال بعضهم: عنى بالمفاتح في هذا الموضع: الخزائن[٣]، كَمَا قَالَ: ﴿وَعِنْدَهُ مَفَاتِحُ الْغَيْبِ﴾ [الأنعام: ٥٩] أي خزائنه[٤]، قال ابن عطية: " (المفاتح) ظاهرها أنها التي يُفتح بها، ويحتمل أن يريد بها الخزائن والأوعية الكبار، قاله الضحاك؛ لأن المَفتح في كلام العرب: الخزانة"[٥].

ومعنى قوله تعالى: ﴿لَتَنُوءُ بِالْعُصْبَةِ أُولِي الْقُوَّةِ﴾ أي لتثقل بالعصبة أي الجماعة، والعُصْبَةُ في اللغة الجماعة الذين أَمْرُهُمْ وَاحِد يتابع بعضهم بعضاً في الفِعْلِ ويتعصَّبُ بعضهم لِبَعْضٍ[٦]؛ قدّرها بعضهم بأربعين رجلا، فعن الضحاك في قوله: ﴿لَتَنُوءُ بِالْعُصْبَةِ أُولِي الْقُوَّةِ﴾ يزعمون أن العصبة أربعون رجلا ينقلون مفاتحه من كثرة عددها، وقيل في قدر العصبة أقوال أخرى تتراوح ما بين الثلاثة إلى السبعين[٧]، وقيل كذلك في تحديد الكنوز والمفاتيح والعصبة غير ذلك، ولا شك أن

---

(١) انظر: فتح القدير للشوكاني ٢١٤/٤، وروح المعاني للألوسي ٣١٦/١٠ .

(٢) جامع البيان للطبري ٦١٧/١٩ .

(٣) المفاتح جمع، ويختلف وزن مفرده تبعا للمعنى؛ فإن أريد ما يُفتح به فهو مِفتح بالكسر، وإن أريد بها الخزائن فقياس واحدها مفتح بفتح الميم [انظر: التفسير الكبير للفخر الرازي ١٤/٢٥] .

(٤) انظر: جامع البيان للطبري ٦١٧/١٩، ومعالم التنزيل للبغوي ٥٤٣/٣ .

(٥) المحرر الوجيز لابن عطية ٢٩٨/٤ .

(٦) معاني القرآن وإعرابه لأبي إسحاق الزجاج ١٥٥/٤ .

(٧) انظر: جامع البيان للطبري ٦١٨/١٩، والجامع لأحكام القرآن للقرطبي ٣١٢/١٣ .

مثل هذا التحديد يحتاج إلى سند قوى يعسر الوصول إليه، ومثل هذا الأسلوب يدل على إرادة الكثرة دون تحديد شيء معين، وفي بعض الروايات أن المفاتيح كانت تحمل معه إذا ركب على أربعين بغلا، وهذه الروايات لا يساعدها القرآن إذ العصبة لا تطلق الا على الرجال دون البغال[١].

وفي قوله تعالى: ﴿لَتَنُوءُ بِالْعُصْبَةِ أُولِي الْقُوَّةِ﴾ مجاز، فالعصبة هي التي تنوء بالمفاتيح، وإنما عبر هنا بأن المفاتيح تنوء بالعصبة جريًا على عادة العرب في مثله في إدخال الباء على الحامل لا الثقل؛ أفاده الطبري[٢]، وعبّر بعضهم عنه بأنه من المقلوب وتأويله: ما إن العصبة لتنوء بمفاتحه، كما يقال: إنها لَتَنُوء بها عجيزُتها، أي: هي تَنْوء بعجيزتها[٣]، وقيل إن قوله تعالى: ﴿لَتَنُوأُ بِالْعُصْبَةِ﴾ أي: تُثقلهم وتُميلهم، ومعنى الكلام: لَتُنِيءُ العصبةَ، فلمَّا دخلت الباءُ في (العُصْبة) انفتحت التاء، كما تقول: هذا يَذْهَبُ بالأبصارِ، وهذا يُذْهِبُ الأبصارَ[٤]، ويقال: ناء به الحمل، إذا أثقله حتى أماله[٥]. قال أبو البقاء العكبري: "﴿لَتَنُوءُ بِالْعُصْبَةِ﴾: أَيْ تُنِيءُ الْعُصْبَةَ، فَالْبَاءُ مُعَدِّيَةٌ مُعَاقِبَةٌ لِلْهَمْزَةِ فِي أَنَأْتُهُ؛ يُقَالُ: أَنَأْتُهُ، وَنُؤْتُ بِهِ"[٦]. وقوله: ﴿أُولِي الْقُوَّةِ﴾ يَعْنِي: الشِّدَةَ[٧].

---

(١) انظر: التفسير المظهري لثناء الله المظهري ١٨٠/٧، وتفسير المراغي ٩٣/٢٠ .

(٢) انظر: جامع البيان للطبري ١٩/ ٦١٩.

(٣) انظر: النكت والعيون للماوردي ٢٦٦/٤، وزاد المسير لابن الجوزي ٣٩٢/٣ .

(٤) زاد المسير لابن الجوزي ٣٩٢/٣ .

(٥) الكشاف للزمخشري ٤٣٠/٣ .

(٦) التبيان في إعراب القرآن لأبي البقاء العكبري ١٠٢٥/٢ .

(٧) انظر: تفسير القرآن العزيز لابن أبي زمنين ٣٣٤/٣ .

المبحث الثاني: توجيهات سديدة في التعامل مع المال في ضوء نُصح قومه له

أولاً: الآيات:

قال تعالى: ﴿إِذْ قَالَ لَهُ قَوْمُهُ لَا تَفْرَحْ إِنَّ اللهَ لَا يُحِبُّ الْفَرِحِينَ (٧٦) وَابْتَغِ فِيمَا آتَاكَ اللهُ الدَّارَ الْآخِرَةَ وَلَا تَنْسَ نَصِيبَكَ مِنَ الدُّنْيَا وَأَحْسِنْ كَمَا أَحْسَنَ اللهُ إِلَيْكَ وَلَا تَبْغِ الْفَسَادَ فِي الْأَرْضِ إِنَّ اللهَ لَا يُحِبُّ الْمُفْسِدِينَ (٧٧) قَالَ إِنَّمَا أُوتِيتُهُ عَلَى عِلْمٍ عِنْدِي أَوَلَمْ يَعْلَمْ أَنَّ اللهَ قَدْ أَهْلَكَ مِنْ قَبْلِهِ مِنَ الْقُرُونِ مَنْ هُوَ أَشَدُّ مِنْهُ قُوَّةً وَأَكْثَرُ جَمْعًا وَلَا يُسْأَلُ عَنْ ذُنُوبِهِمُ الْمُجْرِمُونَ (٧٨)﴾ [القصص: ٧٦ – ٧٨]

ثانيًا: بيان ما اشتملت عليه الآيات من نصائح قوم موسى عليه السلام لقارون:

بعد أن ذكر الله بغي فرعون على قومه ذكر وقته فقال: ﴿إِذْ قالَ لَهُ قَوْمُه لا تَفْرَحْ﴾ أي إنه أظهر التفاخر والبغي بما أوتى حين قال له قومه من بنى إسرائيل: لا تظهر الفرح والبطر بكثرة مالك(١).

والقائلون هم المؤمنون من قومه، وقيل: القائل هو موسى عليه السلام أطلق عليه اسم القوم لأن أقواله قدوة للقوم فكأنهم قالوا قوله(٢)، وقد بين رحمه الله أنه كان في قومه من وعظه بأمور:

النصيحة الأولى: ﴿لَا تَفْرَحْ إِنَّ اللهَ لَا يُحِبُّ الْفَرِحِينَ﴾:

الفرح المنهي عنه هو فرح الرضا بالدنيا والاطمئنان بها، قال الزمخشري: "وذلك أنه لا يفرح بالدنيا إلا من رضى بها واطمأن. وأمّا من قلبه إلى الآخرة ويعلم أنه مفارق ما فيه عن قريب، لم تحدّثه نفسه بالفرح"(٣). وعلل النهي ها هنا بكونه مانعًا من محبة الله تعالى فقال: ﴿إِنَّ اللهَ لاَ يُحِبُّ الْفَرِحِينَ﴾ أي بزخارف الدنيا، والفَرِح: هو الذي تخلق دائما بالفرح، والمراد: الفَرح المطغي الذي

---

(١) انظر: تفسير المراغي ٩٣/٢٠.

(٢) انظر: زاد المسير لابن الجوزي ٣٩٢/٣، والتحرير والتنوير للطاهر بن عاشور ١٧٧/٢٠ .

(٣) الكشاف للزمخشري ٤٣٠/٣ .

هو انهماك وانحلال نفس وأشر وإعجاب، ولذلك قال تعالى: ﴿وَلا تَفْرَحُوا بِمَا آتَاكُمْ﴾[١]، وقوله: ﴿لاَ يُحِبُّ﴾ أي يبغضهم ويعاقبهم، وقال بعضهم: إن في نفي محبته تعالى إياهم تنبيها على أن عدم محبته تعالى كاف في الزجر عما نهى عنه، فما بالك بالبغض والعقاب؟ وهو حسن[٢].

والمعنى: لقد أعطى الله- تعالى- قارون نعما عظيمة، فلم يشكر الله عليها، بل طغى وبغى، فقال له العقلاء من قومه: لا تفرح بهذا المال الذي بين يديك فرح البطر الفخور، المستعمِل لنعم الله في الفسوق والمعاصي، فإن الله - تعالى- لا يحب من كان كذلك[٣].

النصيحة الثانية: ﴿وَابْتَغِ فِيمَا آتَاكَ اللهُ الدَّارَ الْآخِرَةَ﴾:

لما نهوه عن الفرح المطغي أمروه بأن يطلب فيما آتاه الله من الكنوز وسعة الرزق؛ ثواب الدار الآخرة بأن يفعل فيه أفعال البر، وتجعله زادك إلى الآخرة[٤].

وابتغاء الدار الآخرة طلبها، أي طلب نعيمها وثوابها، وعلق بفعل الابتغاء قوله: ﴿فِيمَا آتَاكَ اللهُ﴾ بحرف الظرفية، أي اطلب بمعظمه وأكثره[٥].

النصيحة الثالثة: ﴿ وَلَا تَنْسَ نَصِيبَكَ مِنَ الدُّنْيَا﴾:

حين وعظوه بأن يطلب بماله ثواب الآخرة؛ لم يقطعوه عن الدنيا، فقالوا له: لا تترك حظّك من لذّات الدنيا المباحة من المآكل والمشارب والملابس والمساكن وغيرها[٦]، فعن الحسن وقتادة:

---

(١) انظر: المحرر الوجيز لابن عطية ٢٩٩/٤، وأنوار التنزيل للبيضاوي ١٨٥/٤ .

(٢) انظر: روح المعاني للألوسي ٣١٨/١٠، والتفسير المنير لوهبة الزحيلي ١٦٠/٢٠ .

(٣) التفسير الوسيط لسيد طنطاوي ٤٣٧/١٠ .

(٤) البحر المحيط لأبي حيان ٣٢٥/٨ .

(٥) التحرير والتنوير للطاهر بن عاشور ١٧٨/٢٠ .

(٦) انظر: التفسير الوسيط لوهبة الزحيلي ١٩٣٨/٣ .

هو أن تأخذ من الدنيا ما أحل الله تعالى لك فإن لك فيه غنى وكفاية[١] .

وقوله: ﴿وَلَا تَنْسَ نَصِيبَكَ مِنَ الدُّنْيَا﴾ جملة معترضة بين الجملتين الحافتين بها، والواو اعتراضية، والنهي في ﴿وَلَا تَنْسَ نَصِيبَكَ﴾ مستعمل في الإباحة، والنسيان كناية عن الترك، أي لا نلومك على أن تأخذ نصيبك من الدنيا، أي الذي لا يأتي على نصيب الآخرة. وهذا احتراس في الموعظة خشية نفور الموعوظ من موعظة الواعظ؛ لأنهم لما قالوا لقارون ﴿وَابْتَغِ فِيمَا آتَاكَ اللهُ الدَّارَ الْآخِرَةَ﴾ أوهموا أن يترك حظوظ الدنيا فلا يستعمل ماله إلا في القربات، فأفيد أن له استعمال بعضه في ما هو متمحض لنعيم الدنيا إذا آتى حق الله في أمواله[٢].

النصيحة الرابعة: ﴿وَأَحْسِنْ كَمَا أَحْسَنَ اللهُ إِلَيْكَ﴾:

لما أمروه بالإحسان بالمال أمروه بالإحسان مطلقًا، ويدخل فيه الإعانة بالمال والجاه وطلاقة الوجه وحسن اللقاء، فيجمع بين الإحسان المادي والإحسان الأدبي أو الخُلُقي[٣].

وقيل معناه: أحسن إلى عباد الله كما أحسن الله إليك بما أنعم به عليك من نعم الدنيا، وقيل: أحسن بالشكر والطاعة كما أحسن الله إليك بالإنعام[٤] .

قوله: ﴿كَمَا أَحْسَنَ اللهُ إِلَيْكَ﴾ الكاف للتشبيه، و (ما) مصدرية، أي كإحسان الله إليك، والمشبه هو الإحسان المأخوذ من ﴿ أَحْسَنَ ﴾ أي إحسانًا شبيهًا بإحسان الله إليك، والتشبيه يكون في بعض الأوصاف؛ لأن مماثلة إحسان العبد لإحسان الله من جميع الصفات يمتنع أن تكون، فالتشبيه وقع في مطلق الإحسان، وقد شاع بين النحاة تسمية هذه الكاف كاف التعليل، ومثلها قوله تعالى:

---

(١) انظر: جامع البيان للطبري ٦٢٥/١٩، والدر المنثور للسيوطي ٤٣٩/٦ .

(٢) التحرير والتنوير للطاهر بن عاشور ١٧٨/٢٠ و١٧٩ بتصرف يسير .

(٣) انظر: اللباب في علوم الكتاب لابن عادل الحنبلي ٢٩١/١٥، والتفسير المنير لوهبة الزحيلي ١٦١/٢٠ .

(٤) انظر: إرشاد العقل السليم لأبي السعود ٢٥/٧، وفتح القدير للشوكاني ٢١٥/٤ .

﴿وَاذْكُرُوهُ كَمَا هَدَاكُمْ﴾ [البقرة: ١٩٨][١].

النصيحة الخامسة: ﴿وَلَا تَبْغِ الْفَسَادَ فِي الْأَرْضِ إِنَّ اللهَ لَا يُحِبُّ الْمُفْسِدِينَ﴾

﴿وَلَا تَبْغِ الْفَسَادَ فِي الْأَرْضِ﴾ أي: لا تعمل فيها بمعاصي الله، وقيل: هو نهي عن الاستمرار على ما هو عليه من الظلم والبغي[٢].

فإن قيل: الأمر بالإحسان يقتضي النهي عن الفساد فلمَ نص عليه هنا؟

أجيب: لأنه لما تعددت موارد الإحسان والإساءة فقد يغيب عن الذهن أن الإساءة إلى شيء مع الإحسان إلى أشياء يعتبر غير إحسان[٣]. وجملة ﴿إِنَّ اللهَ لَا يُحِبُّ الْمُفْسِدِينَ﴾ علة للنهي عن الإفساد، لأن العمل الذي لا يحبه الله لا يجوز لعباده عمله[٤].

قارون لم يقبل النصيحة والوعظ:

﴿قَالَ إِنَّمَا أُوتِيتُهُ عَلَى عِلْمٍ عِنْدِي أَوَلَمْ يَعْلَمْ أَنَّ اللهَ قَدْ أَهْلَكَ مِنْ قَبْلِهِ مِنَ الْقُرُونِ مَنْ هُوَ أَشَدُّ مِنْهُ قُوَّةً وَأَكْثَرُ جَمْعًا وَلَا يُسْأَلُ عَنْ ذُنُوبِهِمُ الْمُجْرِمُونَ﴾ [القصص: ٧٨]

جمع الناصحون لفرعون في تلك الألفاظ السابقة من الوعظ ما لو قُبل لم يكن عليه مزيد، لكنه أبى أن يَقبل، بل تلقى النصح بكفران النعمة قائلا ﴿إِنَّما أُوتِيتُهُ عَلى عِلْمٍ عِنْدِي﴾[٥].

وقوله ﴿عَلى عِلْمٍ﴾ علم: مصدر، يحتمل أن يكون مضافًا إليه ومضافًا إلى الله.

فإن كان مضافًا إليه فمعناه: أي علم التجارة ووجوه المكاسب، أي أوتيته بإدراكي وسعيي،

---

(١) انظر: البحر المحيط لأبي حيان ٣٢٥/٨، والتحرير والتنوير للطاهر بن عاشور ١٧٩/٢٠ .

(٢) انظر: فتح القدير للشوكاني ٢١٥/٤، وروح المعاني للألوسي ٣١٩/١٠ .

(٣) انظر: التحرير والتنوير للطاهر بن عاشور ١٨٠/٢٠ .

(٤) المصدر السابق .

(٥) انظر: غرائب القرآن للنيسابوري ٣٦٢/٥ .

وقيل: علم التوراة وحفظها، وكان أحد السبعين الذين اختارهم موسى للميقات، وكانت هذه مغالطة.

وإن كان العلم مضافًا إلى الله فمعناه: على علم من الله وتخصيص من لدنه قصدني به، أي فلا يلزمني فيه شيء مما قلتم، ثم جعل قوله: ﴿عِنْدِي﴾، كما يقول: في معتقدي وعلى ما أراه، وقيل: أي على خير علمه الله عندي، أو لولا رضا الله عني ومعرفته بفضلي ما أعطاني هذا[١].

قال مكي بن أبي طالب: "﴿قَالَ إِنَّمَآ أُوتِيتُهُ على عِلْمٍ عندي﴾ أي قال قارون لقومه لما وعظوه: إنما أوتيت هذا المال ﴿على عِلْمٍ عندي﴾ أي بفضل علم عندي علمه الله مني فرضي بذلك عني، وفضلني عليكم بالمال لذلك، فلم يرضَ بأن يكون الله هو المنعم عليه بذلك، فأضاف اكتساب ذلك إلى نفسه لا يشكر الله عليه، فصار كافراً بذلك وببغيه على بني إسرائيل"[٢].

وقوله: ﴿أَوَلَمْ يَعْلَمْ أَنَّ اللهَ قَدْ أَهْلَكَ مِنْ قَبْلِهِ مِنَ الْقُرُونِ مَنْ هُوَ أَشَدُّ مِنْهُ قُوَّةً وَأَكْثَرُ جَمْعًا﴾ أولم يعلم قارون حين زعم أنه أوتي الكنوز لفضل عِلمٍ عنده علمته أنا منه، فاستحقّ بذلك أن يُؤتى ما أُوتي من الكنوز، أن الله قد أهلك من قبله من الأمم من هو أشد منه بطشًا وأكثر جمعًا للأموال ؛ ولو كان الله يؤتي الأموال مَن يؤتيه لفضل فيه وخير عنده ولرضاه عنه، لم يكن يُهلك مَن أهلك من أرباب الأموال الذين كانوا أكثر منه مالا[٣].

قال الزمخشري: "كأنه قيل ﴿أَوَلَمْ يَعْلَمْ﴾ في جملة ما عنده من العلم هذا، حتى لا يغتر بكثرة ماله وقوّته. ويجوز أن يكون نفيًا لعلمه بذلك، لأنه لما قال: أوتيته على علم عندي، فتنفج بالعلم[٤]

---

(١) انظر: تفسير ابن أبي حاتم ٣٠١٢/٩، والبحر المحيط لأبي حيان ٣٢٦/٨ .

(٢) الهداية إلى بلوغ النهاية لمكي بن أبي طالب ٥٥٧٧/٨ .

(٣) انظر: جامع البيان للطبري ٦٢٦/١٩ .

(٤) قوله «فتنفج بالعلم» أى ترفع وتفاخر وتكبر [انظر: الصحاح للفارابي ٣٤٥/١ مادة (نفج)] .

وتعظم به. قيل: أعنده مثل ذلك العلم الذي ادعاه ورأى نفسه به مستوجبة لكل نعمة، ولم يعلم هذا العلم النافع حتى يقي به نفسه مصارع الهالكين"[١]. وحاصل الجواب: أن اغتراره بماله وقوته وجموعه من الخطأ العظيم، وأنه تعالى إذا أراد إهلاكه لم ينفعه ذلك ولا ما يزيد عليه أضعافا[٢].

وقوله: ﴿وَلا يُسْأَلُ عَنْ ذُنُوبِهِمُ الْمُجْرِمُونَ﴾ قيل: معناه أنهم يدخلون النار بغير حساب، وقيل: معناه أن الملائكة لا تسأل عنهم لأنهم يعرفونهم بسيماهم فيكون كقوله: ﴿يُعْرَفُ الْمُجْرِمُونَ بِسِيمَاهُمْ﴾ [الرحمن: ٤١]، وقيل: معناه ولا يُسأل عن ذنوب هؤلاء الذين أهلكهم الله من الأمم الماضية المجرمون فيم أهلكوا[٣]، وقيل: لا يُسأل الكافرون يوم القيامة عن ذنوبهم سؤال النجاة بل يسألون سؤال العذاب والمناقشة[٤].

قال الفخر الرازي: "المراد: أن الله تعالى إذا عاقب المجرمين فلا حاجة به إلى أن يسألهم عن كيفية ذنوبهم وكميتها، لأنه تعالى عالم بكل المعلومات فلا حاجة به إلى السؤال.

فإن قيل: كيف الجمع بينه وبين قوله: ﴿فَوَرَبِّكَ لَنَسْأَلَنَّهُمْ أَجْمَعِينَ﴾ [الحجر: ٩٢]؟

قلنا: يُحمل ذلك على وقتين على ما قررناه، وذكر أبو مسلم وجها آخر فقال: السؤال قد يكون للمحاسبة، وقد يكون للتقرير والتبكيت، وقد يكون للاستعتاب، وأليق الوجوه بهذه الآية الاستعتاب لقوله: ﴿ثُمَّ لَا يُؤْذَنُ لِلَّذِينَ كَفَرُوا وَلَا هُمْ يُسْتَعْتَبُونَ﴾ [النحل: ٨٤] ﴿هَذَا يَوْمُ لَا يَنْطِقُونَ (٣٥) وَلَا يُؤْذَنُ لَهُمْ فَيَعْتَذِرُونَ﴾ [المرسلات: ٣٥، ٣٦] "[٥].

---

(١) الكشاف للزمخشري ٤٣١/٣ .

(٢) مفاتيح الغيب للفخر الرازي ١٦/٢٥ .

(٣) انظر: جامع البيان للطبري ٦٢٦/١٩، وتفسير ابن أبي حاتم ٣٠١٣/٩ .

(٤) انظر: بحر العلوم للسمرقندي ٦٢٠/٢ .

(٥) مفاتيح الغيب للفخر الرازي ١٦/٢٥ .

المبحث الثالث: زينة المال ومواقف الناس منها ودور العلم في تهذيب أهله

أولا: الآيات:

قال تعالى: ﴿فَخَرَجَ عَلَى قَوْمِهِ فِي زِينَتِهِ قَالَ الَّذِينَ يُرِيدُونَ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا يَالَيْتَ لَنَا مِثْلَ مَا أُوتِيَ قَارُونُ إِنَّهُ لَذُو حَظٍّ عَظِيمٍ (٧٩) وَقَالَ الَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ وَيْلَكُمْ ثَوَابُ اللهِ خَيْرٌ لِمَنْ آمَنَ وَعَمِلَ صَالِحًا وَلَا يُلَقَّاهَا إِلَّا الصَّابِرُونَ﴾ [القصص: ٧٩ – ٨٠]

ثانيًا: بيان ما اشتملت عليه من مواقف الناس في الافتتان بزينة المال:

يقول تعالى مخبرًا عن قارون: إنه خرج ذات يوم على قومه في زينة عظيمة، وتجمل باهر، من مراكب وملابس عليه وعلى خدمه وحشمه، فلما رآه من يريد الحياة الدنيا ويميل إلى زخرفها وزينتها، تمنوا أن لو كان لهم مثل الذي أعطي، فلما سمع مقالتهم أهل العلم النافع قالوا لهم: جزاء الله لعباده المؤمنين الصالحين في الدار الآخرة خير مما ترون[١].

قوله تعالى: ﴿فَخَرَجَ عَلَى قَوْمِهِ فِي زِينَتِهِ﴾ عطف على جملة ﴿وَآتَيْنَاهُ مِنَ الْكُنُوزِ﴾ [القصص: ٧٦] إلى آخرها، مع ما عطف عليها وتعلق بها، فدلت الفاء على أن خروجه بين قومه في زينته بعد ذلك كله كان من أجل أنه لم يقصر عن شيء من سيرته ولم يتعظ بتلك المواعظ ولا زمنًا قصيرًا، بل أعقبها بخروجه هذه الخرجة المليئة صلفًا وازدهاء. فالتقدير: قال إنما أوتيته على علم عندي فخرج، أي رفض الموعظة بقوله وفعله، وتعدية (خرج) بحرف (على) لتضمينه معنى النزول إشارة إلى أنه خروج متعالٍ مترفع[٢].

والزينة: ما به جمال الشيء والتباهي به من الثياب والطيب والمراكب والسلاح والخدم، وأخبرت الآيات عن انقسام قومه إلى مغترين بالزخارف العاجلة عن غير علم، وإلى علماء يؤثرون

---

(١) تفسير ابن كثير ٦/٢٥٥ بتصرف .

(٢) التحرير والتنوير للطاهر بن عاشور ٢٠/١٨٢ .

الآجل على العاجل[١] .

وقد أكثر المفسرون في تحديد زينة قارون وتعيينها بما لا صحة له[٢]، والمراد أنه خرج في زينة انبهر لها من رآها، ولهذا تمنى الناظرون إليه أن يكون لهم مثلها، كما حكى الله عنهم بقوله: ﴿قَالَ الَّذِينَ يُرِيدُونَ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا يَالَيْتَ لَنَا مِثْلَ مَا أُوتِيَ قَارُونُ إِنَّهُ لَذُو حَظٍّ عَظِيمٍ﴾ أي: نصيب وافر من الدنيا . واختلف في هؤلاء القائلين بهذه المقالة، فقيل: هم من مؤمني ذلك الوقت وقالوا ذلك جريًا على سنن الجبلة البشرية من الرغبة في السعة واليسار، لكن لما قوبلوا ب - ﴿الَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ﴾ كان المعني بهم عامة الناس وضعفاء اليقين الذين تلهيهم زخارف الدنيا عما يكون في مطاويها من سوء العواقب فتقصر بصائرهم عن التدبر إذا رأوا زينة الدنيا فيتلهفون عليها ولا يتمنون غير حصولها فهؤلاء وإن كانوا مؤمنين إلا أن إيمانهم ضعيف فلذلك عظم في عيونهم ما عليه قارون من البذخ فقالوا: ﴿إِنَّهُ لَذُو حَظٍّ عَظِيمٍ﴾ أي إنه لذو بخت وسعادة، وقيل: هم قوم من الكفار[٣] .

وقوله: ﴿وَقَالَ الَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ﴾ وهم أحبار بني إسرائيل، قالوا للذين تمنوا: ﴿وَيْلَكُمْ ثَوَابُ اللهِ خَيْرٌ﴾ أي: ثواب الله في الآخرة خير مما تمنونه ﴿لِمَنْ آمَنَ وَعَمِلَ صَالِحًا﴾ فلا تمنوا عرض الدنيا الزائل الذي لا يدوم ﴿وَلَا يُلَقَّاهَا﴾ أي: هذه الكلمة التي تكلم بها الأحبار، ومعنى تلقيها إما فهمها أو التوفيق للعمل بها، وقيل: الضمير يعود إلى الأعمال الصالحة، وقيل: إلى الجنة ﴿إِلَّا الصَّابِرُونَ﴾على طاعة الله، والمصبرون أنفسهم عن زينة الدنيا وعن الشهوات[٤] .

---

(١) انظر: التحرير والتنوير للطاهر بن عاشور ١٨٣/٢٠ .

(٢) المحرر الوجيز لابن عطية ٣٠١/٤ .

(٣) انظر: فتح القدير للشوكاني ٢١٦/٤، وروح المعاني للألوسي ٣٢٧/١٠، والتحرير والتنوير للطاهر بن عاشور ١٨٣/٢٠ .

(٤) انظر: معالم التنزيل للبغوي ٥٤٥/٣، وفتح القدير للشوكاني ٢١٦/٤، وروح المعاني للألوسي ٣٢٨/١٠ .

قال صاحب التحرير والتنوير: "و (ويل) اسم للهلاك وسوء الحال، ويستعمل في التعجب المشوب بالزجر، فليس الذين أوتوا العلم داعين بالويل على الذين يريدون الحياة الدنيا لأن المناسب لمقام الموعظة لين الخطاب ليكون أعون على الاتعاظ، ولكنهم يتعجبون من تعلق نفوس أولئك بزينة الحياة الدنيا .

وقوله ﴿وَلَا يُلَقَّاهَا إِلَّا الصَّابِرُونَ﴾ يجوز أن تكون الواو للعطف فهي من كلام الذين أوتوا العلم؛ أمروا الذين فتنهم حال قارون بأن يصبروا على حرمانهم مما فيه قارون، ويجوز أن تكون الواو اعتراضية والجملة معترضة من جانب الله تعالى علّم بها عباده فضيلة الصبر .

وضمير ﴿يُلَقَّاهَا﴾ عائد إلى مفهوم من الكلام يجري على التأنيث، أي الخصلة وهي ثواب الله، أو السيرة القويمة وهي سيرة الإيمان والعمل الصالح .

والتلقية: جعل الشيء لاقيا أي مجتمعا مع شيء آخر، وهو مستعمل في الإعطاء على طريقة الاستعارة، أي لا يعطي تلك الخصلة أو السيرة إلا الصابرون؛ لأن الصبر وسيلة لنوال الأمور العظيمة"[١].

(١) التحرير والتنوير للطاهر بن عاشور ١٨٣/٢٠ و١٨٤ بتصرف .

المبحث الرابع: عاقبة البغي بالمال

أولا: الآيات:

قال تعالى: ﴿فَخَسَفْنَا بِهِ وَبِدَارِهِ الْأَرْضَ فَمَا كَانَ لَهُ مِنْ فِئَةٍ يَنْصُرُونَهُ مِنْ دُونِ اللهِ وَمَا كَانَ مِنَ الْمُنْتَصِرِينَ (٨١) وَأَصْبَحَ الَّذِينَ تَمَنَّوْا مَكَانَهُ بِالْأَمْسِ يَقُولُونَ وَيْكَأَنَّ اللهَ يَبْسُطُ الرِّزْقَ لِمَنْ يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ وَيَقْدِرُ لَوْلَا أَنْ مَنَّ اللهُ عَلَيْنَا لَخَسَفَ بِنَا وَيْكَأَنَّهُ لَا يُفْلِحُ الْكَافِرُونَ (٨٢) تِلْكَ الدَّارُ الْآخِرَةُ نَجْعَلُهَا لِلَّذِينَ لَا يُرِيدُونَ عُلُوًّا فِي الْأَرْضِ وَلَا فَسَادًا وَالْعَاقِبَةُ لِلْمُتَّقِينَ﴾ [القصص: ٨١ - ٨٣]

ثانيًا: بيان ما عوقب به قارون وما ختمت به قصته:

قال تعالى: ﴿فَخَسَفْنَا بِهِ وَبِدَارِهِ الْأَرْضَ فَمَا كَانَ لَهُ مِنْ فِئَةٍ يَنْصُرُونَهُ مِنْ دُونِ اللهِ وَمَا كَانَ مِنَ الْمُنْتَصِرِينَ (٨١) ﴾

لما ذكر تعالى اختيال قارون في زينته، وفخره على قومه وبغيه عليهم، عقب ذلك بأنه خسف به وبداره الأرض جزاء على عتوه وبطره، والفاء تدل على ذلك، لأن الفاء تشعر بالعلّيّة[١] .

وقد ذكر أن هلاك قارون كان عن دعوة نبي الله موسى - عليه السلام - وأورد المفسرون روايات مختلفة، وهي مظنة الإسرائيليات، فالأولى الاقتصار على ما صرحت به الآيات[٢] .

قال الرازي بعد ذكره للروايات التي تبين أن الله أمر الأرض أن تطيع موسى - عليه السلام - في قارون، فأمرها أن تأخذه فأخذته وروايات بتفاصيل أخرى:

"والذي عندي في أمثال هذه الحكايات أنها قليلة الفائدة لأنها من باب أخبار الآحاد فلا تفيد اليقين، وليست المسألة مسألة عملية حتى يكتفى فيها بالظن، ثم إنها في أكثر الأمر متعارضة مضطربة فالأولى طرحها والاكتفاء بما دل عليه نص القرآن وتفويض سائر التفاصيل إلى عالم

---

(١) انظر: مفاتيح الغيب للفخر الرازي ١٧/٢٥، وتفسير ابن كثير ٢٥٦/٦ .

(٢) انظر: جامع البيان للطبري ٦٢٩/١٩، وتفسير ابن كثير ٢٥٦/٦ و٢٥٧ .

الغيب"[١].

وقوله تعالى: ﴿فَخَسَفْنَا﴾ دلت الفاء على تعقيب ساعة خروج قارون في ازدهائه وما جرى فيها من تمني قوم أن يكونوا مثله، وما أنكر عليهم علماؤهم من غفلتهم عن التنافس في ثواب الآخرة بتعجيل عقابه في الدنيا بمرأى من الذين تمنوا أن يكونوا مثله.

والخسف: انقلاب بعض ظاهر الأرض إلى باطنها، وعكسه. يقال: خسفت الأرض وخسف الله الأرض فانخسفت، فهو يستعمل قاصرًا ومتعديًا، وإنما يكون الخسف بقوة الزلزال. وأما قولهم: خسفت الشمس فذلك على التشبيه. ويقال: خسف المكان يخسف خسوفًا: ذهب في الأرض، وخسف الله به الأرض خسفًا: أي غاب به فيها، والمعنى: أن الله سبحانه غيبه وغيب داره في الأرض . والباء في قوله: ﴿فَخَسَفْنَا بِهِ﴾ باء المصاحبة، أي خسفنا الأرض مصاحبة له ولداره، فهو وداره مخسوفان مع الأرض التي هو فيها، وهذا الخسف خارق للعادة لأنه لم يتناول غير قارون ومَن ظاهرَه[٢].

وقوله تعالى: ﴿وَبِدَارِهِ﴾ يَعْنِي: مَسْكَنَهُ أو أهل داره[٣] .

وقوله تعالى: ﴿فَمَا كَانَ لَهُ مِنْ فِئَةٍ يَنْصُرُونَهُ مِنْ دُونِ اللهِ﴾ معنى الفئة: الجماعة من الناس، وأصلها الجماعة التي يفيء إليها الرجل عند الحاجة إليهم، للعون على العدوّ، ثم تستعمل ذلك العرب في كل جماعة كانت عونًا للرجل وظهرًا له[٤] .

---

(١) مفاتيح الغيب للفخر الرازي ١٧/٢٥ .

(٢) انظر: الجامع لأحكام القرآن للقرطبي ٣١٨/١٣، وفتح القدير للشوكاني ٢١٦/٤، والتحرير والتنوير للطاهر بن عاشور ١٨٥/٢٠ .

(٣) انظر: تفسير القرآن العزيز لابن أبي زمنين ٣٣٦/٣، والهداية الى بلوغ النهاية لمكي بن أبي طالب ٥٥٧٩/٨ .

(٤) انظر: جامع البيان للطبري ٦٣٢/١٩ .

﴿وَمَا كَانَ مِنَ الْمُنْتَصِرِينَ﴾ من المنتقمين من موسى عليه السلام، أو من الممتنعين من عذاب الله . يقال: نصره من عدوه فانتصر أى: منعه منه فامتنع[١].

قوله تعالى: ﴿وَأَصْبَحَ الَّذِينَ تَمَنَّوْا مَكانَهُ بِالْأَمْسِ يَقُولُونَ وَيْكَأَنَّ اللهَ يَبْسُطُ الرِّزْقَ لِمَنْ يَشاءُ مِنْ عِبادِهِ وَيَقْدِرُ لَوْلا أَنْ مَنَّ اللهُ عَلَيْنا لَخَسَفَ بِنا وَيْكَأَنَّهُ لا يُفْلِحُ الْكافِرُونَ (٨٢) ﴾

﴿وَأَصْبَحَ الَّذِينَ تَمَنَّوْا مَكانَهُ بِالْأَمْسِ﴾ دل ﴿وَأَصْبَحَ﴾ إذا حمل على ظاهره أن الخسف به وبداره كان ليلا، وهو أفظع العذاب إذ الليل مقر الراحة والسكون، أو أن (أصبح) هنا بمعنى صار أي صار المتمنون يقولون ما قالوا، والعرب تعبّر بأضحى وأمسى وأصبح عن الصيرورة والفعل، فتقول: أصبح فلان عاملا وأمسى حزينًا وأضحى معدمًا، إذا صاروا بهذه الأحوال وليس ثمّ من الصبح والمساء والضحى شيء[٢] .

﴿مَكانَهُ﴾ منزلته من الدنيا، أو (مَكانَهُ) مستعمل مجازًا في الحالة المستقر فيها صاحبها . ﴿بِالْأَمْسِ﴾ قد يذكر الأمس ولا يُراد به اليوم الذي قبل يومك، ولكن الوقت المستقرب على طريق الاستعارة، ويحتمل أن يُراد به ما قبل يوم الخسف وهو يوم التمني، ويدل عليه العطف بالفاء التي تقتضي التعقيب في قوله: ﴿فَخَسَفْنَا﴾ فيكون فيه اعتقاب العذاب خروجه في زينته، وفي ذلك تعجيل العذاب[٣] .

﴿يَقُولُونَ وَيْكَأَنَّ اللهَ يَبْسُطُ الرِّزْقَ لِمَنْ يَشاءُ مِنْ عِبادِهِ وَيَقْدِرُ﴾ «وى» مفصولة عن «كأن»، وهي

---

(١) الكشاف للزمخشري ٤٣٣/٣ .

(٢) انظر: الكشف والبيان للثعلبي ٢٦٦/٧، والبحر المحيط لأبي حيان ٣٢٨/٨، والتحرير والتنوير للطاهر بن عاشور ١٨٦/٢٠ .

(٣) انظر: الكشاف للزمخشري ٤٣٤/٣، والبحر المحيط لأبي حيان ٣٢٨/٨، والتحرير والتنوير للطاهر بن عاشور ١٨٦/٢٠ .

كلمة تنبه على الخطأ وتندم، ومعناه: أن القوم قد تنبهوا على خطئهم في تمنيهم وقولهم: ﴿يا لَيْتَ لَنا مِثْلَ ما أُوتِيَ قارُونُ﴾ وتندموا ثم قالوا: ﴿وَيْكَأَنَّهُ لا يُفْلِحُ الْكافِرُونَ﴾ أى: ما أشبه الحال بأن الكافرين لا ينالون الفلاح[١].

ومعنى ﴿يَقُولُونَ﴾ أنهم يجهرون بذلك ندامة على ما تمنوه ورجوعًا إلى التفويض لحكمة الله فيما يختاره لمن يشاء من عباده، وفائدة البيان بقوله: ﴿مِنْ عِبادِهِ﴾ الإيماء إلى أنه في بسطة الأرزاق وقدرها متصرف تصرف المالك في ملكه إذ المبسوط لهم والمقدور عليهم كلهم عبيده فحقهم الرضى بما قسم لهم مولاهم[٢].

قال أبو حيان: "ولما صدر منهم تمني حال قارون، وشاهدوا الخسف، كان ذلك زاجرًا لهم عن حب الدنيا، وداعيًا إلى الرضا بقدر الله، فتنبهوا لخطئهم فقالوا: وي، ثم قالوا: كأن الله يبسط الرزق لمن يشاء من عباده بحسب مشيئته وحكمته لا لكرامته عليه، ويضيق على من يشاء لا لهوانه بل لحكمته وقضائه ابتلاءً"[٣].

وقد اختلف النحاة في معنى قوله تعالى ها هنا: ﴿وَيْكَأَنَّ﴾، فقال بعضهم: معناها: "ويلك اعلم أن"، ولكن خففت فقيل: "ويك"، ودل فتح "أن" على حذف "اعلم"، وهذا القول ضعفه ابن جرير، وقال ابن كثير: والظاهر أنه قوي، ولا يشكل على ذلك إلا كتابتها في المصاحف متصلة (ويكأن)، والكتابة أمر وضعي اصطلاحي، والمرجع إلى اللفظ العربي، والله أعلم. وقيل: كتبت " ويكأن " متصلة لكثرة الاستعمال . وقيل: معنى ﴿وَيْكَأَنَّ﴾ أي: ألم تر أن، فتكون كلمة تقرير كقول

---

(١) انظر: الكشاف للزمخشري ٤٣٤/٣ .

(٢) انظر: التحرير والتنوير للطاهر بن عاشور ١٨٦/٢٠ و١٨٨ .

(٣) البحر المحيط لأبي حيان ٣٢٩/٨ .

الرجل: أما ترى إلى صنع الله وإحسانه؟ قاله قتادة ورجحه الطبري . وقيل: معناها "وي كأن"، ففصلها وجعل حرف "وي" للتعجب أو للتنبيه، و"كأن" بمعنى "أظن وأحسب". قاله الخليل بن أحمد ورجحه الزجاج[١] .

ومعنى ﴿لَوْلا أَنْ مَنَّ اللهُ عَلَيْنا لَخَسَفَ بِنا﴾: لولا أن تفضل علينا فصرف عنا ما كنا نتمناه بالأمس لَخَسَفَ بِنَا، أو لولا أن منّ الله علينا فحفظنا من رزق كرزق قارون لخسف بنا أي لكنا طغينا مثل طغيان قارون فخسف بنا كما خسف به، أو لولا أن منّ الله علينا بأن لم نكن من شيعة قارون لخسف بنا كما خسف به وبشيعته، أو لولا أن من الله علينا بثبات الإيمان لخسف بنا[٢] .

وقوله: ﴿وَيْكَأَنَّهُ لا يُفْلِحُ الْكافِرُونَ﴾ أي: لا يفوزون بمطلب من مطالبهم، أو لا يفوزون بالنجاة من النار ودخول الجنان كما يفوز المؤمنون، وضمير (ويكأنه) للشأن[٣].

قال تعالى: ﴿تِلْكَ الدَّارُ الْآخِرَةُ نَجْعَلُها لِلَّذِينَ لا يُرِيدُونَ عُلُوًّا فِي الْأَرْضِ وَلا فَساداً وَالْعاقِبَةُ لِلْمُتَّقِينَ (٨٣) ﴾

انتهت قصة قارون بما فيها من العبر من خير وشر، فأعقبت باستئناف كلام عن الجزاء على الخير وضده في الحياة الأبدية وأنها معدة للذين حالهم بضد حال قارون، مع مناسبة ذكر الجنة بعنوان الدار لذكر الخسف بدار قارون للمقابلة بين دار زائلة ودار خالدة، والمعنى أن الآخرة ليست في شيء من أمر قارون إنما هي لمن صفته كذا وكذا[٤] .

---

(١) انظر: جامع البيان للطبري ٦٣٥/١٩، وبحر العلوم للسمرقندي ٦٢١/٢، والكشف والبيان للثعلبي ٢٦٦/٧، والهداية إلى بلوغ النهاية لمكي بن أبي طالب ٥٥٨٣/٨، وتفسير ابن كثير ٢٥٨/٦ .

(٢) انظر: جامع البيان للطبري ٦٣٦/١٩، والتحرير والتنوير للطاهر بن عاشور ١٨٨/٢٠ .

(٣) انظر: فتح القدر للشوكاني ٢١٧/٤، وروح المعاني للألوسي ٣٣٠/١٠، وأيسر التفاسير للجزائري ١٠١/٤ .

(٤) انظر: المحرر الوجيز لابن عطية ٣٠٢/٤، والتحرير والتنوير للطاهر بن عاشور ١٨٩/٢٠ .

قوله: ﴿تِلْكَ﴾ تعظيم لها وتفخيم لشأنها، يعنى: تلك التي سمعت بذكرها وبلغك وصفها. ﴿نَجْعَلُها لِلَّذِينَ﴾ ومعنى جعلها لهم أنها محضرة لأجلهم ليس لهم غيرها. ﴿لا يُرِيدُونَ عُلُوًّا فِي الْأَرْضِ وَلا فَساداً﴾ ومعنى (لا يريدون) كناية عن: لا يفعلون لأن من لا يريد الفعل لا يفعله إلا مكرها، ولم يعلق الوعد بترك العلو والفساد، ولكن بترك إرادتهما وميل القلوب إليهما، كما قال: ﴿وَلَا تَرْكَنُوا إِلَى الَّذِينَ ظَلَمُوا﴾ [هود: ١١٣] فعلق الوعيد بالركون لمزيد التحذير[١].

﴿عُلُوًّا فِي الْأَرْضِ وَلا فَساداً﴾ وذكر العلو والفساد منكرين في حيز النفي يدل على شمولهما لكل ما يطلق عليه أنه علو وأنه فساد من غير تخصيص بنوع خاص، ومن معاني العلو: التكبر عن الحقّ في الأرض والتجبر عنه، والفساد: ظلم الناس بغير حقّ والعمل بمعاصي الله، وفي إعادة (لا) إشارة إلى أن كلا من العلو والفساد مقصود بالنفي[٢].

﴿وَالْعاقِبَةُ لِلْمُتَّقِينَ﴾ (العاقبة) وصف عومل معاملة الأسماء لكثرة الوصف به وهي الحالة الآخرة بعد حالة سابقة وغلب إطلاقها على عاقبة الخير[٣]. قال الطبري: "وقوله: (وَالْعَاقِبَةُ لِلْمُتَّقِينَ) يقول تعالى ذكره: والجنة للمتقين، وهم الذين اتقوا معاصي الله وأدّوا فرائضه"[٤].

---

(١) انظر: الكشاف للزمخشري ٤٣٥/٣، وروح المعاني للألوسي ٣٣٠/١٠، والتحرير والتنوير للطاهر بن عاشور ١٨٩/٢٠ و١٩٠.

(٢) انظر: جامع البيان للطبري ٦٣٧/١٩، وفتح القدير للشوكاني ٢١٧/٤، وروح المعاني للألوسي ٣٣٠/١٠.

(٣) انظر: التحرير والتنوير للطاهر بن عاشور ١٩٠/٢٠.

(٤) جامع البيان للطبري ٦٣٧/١٩.

المبحث الخامس: الدروس والعبر

أورد الله – تعالى – تفصيلا واضحًا لقصة قارون الذي كان من قوم موسى، فاغتر بماله وثرواته، وزعم أنه أوتي ذلك بذكائه ومهارته، وأنه لا حقّ لأحد فيه، فجاءه التوجيه الإلهي إلى ضرورة استعمال المال والانتفاع به فيما يحقّق له النفع في الآخرة، وإصلاح شؤون الدنيا، والإحسان في تثميره وتنميته وإنفاقه، وتجنّب كل مهاوي الفساد والإفساد به في الأرض، ولكنه لم يستجب لهذا التوجيه، وبطر في عيشه وتبختر، فحقّ عليه الهلاك والدّمار[١] .

ومغزى هذا القصص أولا: تقرير النبوة المحمدية إذ مثل هذا لا يقصه غير مَن يوحى إليه بحال. ثانيًا: تضمن القصص الرد على المعجبين بالمال ومتاع الحياة الدنيا وبيان نهايتهم المؤلمة، وثالثًا: عرض مشابه لموقف أصحاب الرسول – ﷺ – مع أغنياء مكة وهم يتطاولون عليهم بالمال والجاه كما كان قارون مع ضعفة بني إسرائيل وفي ذلك عظة للمؤمنين وذكرى للكافرين[٢].

واشتملت القصة كذلك على لطائف وأسرار ودروس وعبر، يفصل هذا المبحث طرفًا منها:

أولًا: قوله تعالى ﴿إِنَّ قَارُونَ كَانَ مِنْ قَوْمِ مُوسَى فَبَغَى عَلَيْهِمْ وَآتَيْنَاهُ مِنَ الْكُنُوزِ مَا إِنَّ مَفَاتِحَهُ لَتَنُوءُ بِالْعُصْبَةِ أُولِي الْقُوَّةِ إِذْ قَالَ لَهُ قَوْمُهُ لَا تَفْرَحْ إِنَّ اللهَ لَا يُحِبُّ الْفَرِحِينَ (٧٦)﴾

١- كان قارون الثّري المترف ابن عم موسى – عليه السلام – وهو رجل من بني إسرائيل، كان ممن آمن بموسى، وحفظ التّوراة، وكان من أقرأ الناس لها، وكان عند موسى عليه السلام من عبّاد المؤمنين، ثم لحقه الزهوّ والإعجاب، فبغى على قومه بأنواع البغي[٣]، فلم تنفعه قرابته ولا علمه بالتوراة حين خالفها بعمله ولم ينفعه ماله الذي به تكبر .

---

(١) التفسير الوسيط للزحيلي ١٩٣٦/٣ .

(٢) أيسر التفاسير للجزائري ٩٨/٤ الحاشية .

(٣) التفسير الوسيط للزحيلي ١٩٣٧/٣ .

وقد ورد مثل ذلك في غير موضع من الكتاب والسنة، ومن ذلك:

قوله تعالى: ﴿وَاتْلُ عَلَيْهِمْ نَبَأَ الَّذِي آتَيْنَاهُ آيَاتِنَا فَانْسَلَخَ مِنْهَا فَأَتْبَعَهُ الشَّيْطَانُ فَكَانَ مِنَ الْغَاوِينَ﴾ [الأعراف: ١٧٥] فهذا فيمن لم يعمَل بما عَلِم .

وأما مَن كان ماله سببًا لطغيانه ففيه قوله تعالى: ﴿كَلَّا إِنَّ الْإِنْسَانَ لَيَطْغَى (٦) أَنْ رَآهُ اسْتَغْنَى (٧)﴾ [العلق: ٦ – ٧] .

وأما كون القرابة لا تغني بين يدي الله إذا لم يكن إيمان فيؤكده ما رواه الشيخان من حديث أَبَي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ، قَالَ: قَامَ رَسُولُ اللهِ ﷺ حِينَ أَنْزَلَ اللهُ ﷻ: ﴿وَأَنْذِرْ عَشِيرَتَكَ الأَقْرَبِينَ﴾ [الشعراء: ٢١٤]، قَالَ: «يَا مَعْشَرَ قُرَيْشٍ – أَوْ كَلِمَةً نَحْوَهَا – اشْتَرُوا أَنْفُسَكُمْ، لاَ أُغْنِي عَنْكُمْ مِنَ اللهِ شَيْئًا، يَا بَنِي عَبْدِ مَنَافٍ لاَ أُغْنِي عَنْكُمْ مِنَ اللهِ شَيْئًا، يَا عَبَّاسُ بْنَ عَبْدِ المُطَّلِبِ لاَ أُغْنِي عَنْكَ مِنَ اللهِ شَيْئًا، وَيَا صَفِيَّةُ عَمَّةَ رَسُولِ اللهِ لاَ أُغْنِي عَنْكِ مِنَ اللهِ شَيْئًا، وَيَا فَاطِمَةُ بِنْتَ مُحَمَّدٍ سَلِينِي مَا شِئْتِ مِنْ مَالِي لاَ أُغْنِي عَنْكِ مِنَ اللهِ شَيْئًا»[(١)].

قال صاحب التحرير والتنوير:

"وفي الإخبار عنه بأنه من قوم موسى تمهيد للكناية بهذا الخبر عن إرادة التنظير بما عرض لرسول الله – ﷺ – مِن بغي بعض قرابته من المشركين عليه"[(٢)].

٢- قوله تعالى ﴿فَبَغَى عَلَيْهِمْ﴾ أى: فتطاول عليهم، وتجاوز الحدود في ظلمهم وفي الاعتداء عليهم، ولم يحدد القرآن كيفية بغيه أو الأشياء التي بغى عليهم فيها، للإشارة إلى أن بغيه قد شمل

---

(١) البخاري ٦/٤ كتاب الوصايا – باب هل يدخل النساء والولد في الأقارب؟ – رقم (٢٧٥٣) واللفظ له، ومسلم ١٩٢/١ كتاب الأيمان – باب في قوله تعالى: ﴿وَأَنْذِرْ عَشِيرَتَكَ الْأَقْرَبِينَ﴾ – رقم (٢٠٦) .

(٢) التحرير والتنوير للطاهر بن عاشور ١٧٦/٢٠ .

كل ما من شأنه أن يسمى بغيًا من أقوال أو أفعال، والبغي مرتعه وخيم والظلم مؤذن بخراب العمران والديار[١] . قال تعالى ﴿فَتِلْكَ بُيُوتُهُمْ خَاوِيَةً بِمَا ظَلَمُوا إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَةً لِقَوْمٍ يَعْلَمُونَ﴾ [النمل: ٥٢] .

٣- ﴿إِذْ قالَ لَهُ قَوْمُهُ﴾ المراد بالقوم: بعضهم إما جماعة منهم وهم أهل الموعظة، وإما موسى - عليه السلام - أطلق عليه اسم القوم لأن أقواله قدوة للقوم فكأنهم قالوا قوله[٢] .

قال أبو بكر البقاعي: "وساغت نسبة القول للكل وإن كان القائل البعض - بدليل ما يأتي[٣] - إما عداً للساكت قائلاً لرضاه به لأنه مما لا يأباه أحد، وإما لأن أهل الخير هم الناس، ومَن عداهم عدم"[٤] .

وفي هذا تنويه بمكانة القائد القدوة الذي يُعدّ قوله بمثابة قول الجماعة كلهم، وبيان لمنزلة أهل الخير إن نطقوا به كان هم الناس ومَن عداهم عدم .

٤- ﴿لَا تَفْرَحْ إِنَّ اللهَ لَا يُحِبُّ الْفَرِحِينَ﴾ الفرح المنهي عنه هو المفرط منه، أي الذي تمحض للتعلق بمتاع الدنيا ولذّات النفس به، لأن الانكباب على ذلك يميت من النفس الاهتمام بالأعمال الصالحة والمنافسة لاكتسابها، فينحدر به التوغل في الإقبال على اللذات إلى حضيض الإعراض عن الكمال النفساني والاهتمام بالآداب الدينية[٥] .

---

(١) انظر: التفسير الوسيط لسيد طنطاوي ٤٣٦/١٠، والتفسير المنير للزحيلي ١٦٢/٢٠ .

(٢) التحرير والتنوير للطاهر بن عاشور ١٧٧/٢٠ .

(٣) يعني البعض الآخرين الذين غرتهم زينته والمذكورين في قوله تعالى: ﴿قَالَ الَّذِينَ يُرِيدُونَ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا يَالَيْتَ لَنَا مِثْلَ مَا أُوتِيَ قَارُونُ إِنَّهُ لَذُو حَظٍّ عَظِيمٍ﴾ .

(٤) نظم الدرر في تناسب الآيات والسور للبقاعي ٣٥١/١٤ .

(٥) التحرير والتنوير للطاهر بن عاشور ١٧٨/٢٠ .

فالمراد بـ﴿الْفَرِحِينَ﴾ هنا هم: البطرين الذين لا يشكرون الله على ما أعطاهم، ولا يستعدون للآخرة، وهم المتصفون بالتفاخر على الناس والاستخفاف بهم، واستعمال نعم الله- تعالى- في السيئات والمعاصي[١].

وهي كقوله تعالى: ﴿لِكَيْلَا تَأْسَوْا عَلَى مَا فَاتَكُمْ وَلَا تَفْرَحُوا بِمَا آتَاكُمْ وَاللهُ لَا يُحِبُّ كُلَّ مُخْتَالٍ فَخُورٍ﴾ [الحديد: ٢٣]

والتحقيق: أن الفرح بلذّات الدنيا إن كان مقرونًا بالشكر فمحمود حيث قال رسول الله ﷺ: «الطَّاعِمُ الشَّاكِرُ بِمَنْزِلَةِ الصَّائِمِ الصَّابِرِ»[٢]. وأما إن كان مقرونًا بالطغيان والكفران فمذموم، فالمدح والذم إنما يتوجه إلى ما يتعلق به الفرح أو ما معه من الشكر أو الكفران[٣].

ثانيًا: قوله تعالى: ﴿وَابْتَغِ فِيمَا آتَاكَ اللهُ الدَّارَ الْآخِرَةَ وَلَا تَنْسَ نَصِيبَكَ مِنَ الدُّنْيَا وَأَحْسِنْ كَمَا أَحْسَنَ اللهُ إِلَيْكَ وَلَا تَبْغِ الْفَسَادَ فِي الْأَرْضِ إِنَّ اللهَ لَا يُحِبُّ الْمُفْسِدِينَ (٧٧)﴾

١- ﴿وَابْتَغِ فِيمَا آتَاكَ اللهُ الدَّارَ الْآخِرَةَ﴾ الدنيا مزرعة للآخرة، فعلى المسلم أن يطلب الآخرة بما بين يديه من أعراض الدنيا.

٢- ﴿وَلَا تَنْسَ نَصِيبَكَ مِنَ الدُّنْيَا﴾ لم يقطعوه عن الدنيا، فقالوا له: لا تترك حظّك من لذّات الدنيا المباحة من المآكل والمشارب والملابس والمساكن وغيرها، لكن لا تضيّع عمرك في ألا تعمل عملا صالحًا في دنياك، إذ الآخرة إنما يعمل لها في الدنيا، فنصيب الإنسان: عمره وعمله الصالح، فينبغي ألا تهمله، وطلب الحلال مشروع مع النظر إلى عاقبة الدنيا[٤].

---

(١) انظر: التفسير الوسيط لسيد طنطاوي ٤٣٦/١٠، والتفسير المنير للزحيلي ١٦٠/٢٠.

(٢) الترمذي ٦٥٣/٤ أبواب صفة القيامة والرقائق والورع – رقم (٢٤٨٦) وقال: "حسن غريب"، وصححه الألباني.

(٣) انظر: التفسير المظهري لثناء الله المظهري ١٨١/٧.

(٤) التفسير الوسيط للزحيلي ١٩٣٨/٣.

وهذه هي وسطية الإسلام في الحياة حيث الموازنة بين متطلبات الروح وحاجيات الجسد، (فَإِنَّ لِجَسَدِكَ عَلَيْكَ حَقًّا، وَإِنَّ لِعَيْنِكَ عَلَيْكَ حَقًّا، وَإِنَّ لِزَوْجِكَ عَلَيْكَ حَقًّا، وَإِنَّ لِزَوْرِكَ عَلَيْكَ حَقًّا)[١]، وقال ابن عمر: «اعمل لدنياك كأنك تعيش أبدًا، واعمل لآخرتك كأنك تموت غدًا»[٢].

قال صاحب التحرير والتنوير: "﴿وَلَا تَنْسَ نَصِيبَكَ مِنَ الدُّنْيَا﴾ هذا احتراس في الموعظة خشية نفور الموعوظ من موعظة الواعظ لأنهم لما قالوا لقارون: ﴿وَابْتَغِ فِيمَا آتَاكَ اللهُ الدَّارَ الْآخِرَةَ﴾ أوهموا أن يترك حظوظ الدنيا فلا يستعمل ماله إلا في القربات، فأفيد أن له استعمال بعضه في ما هو متمحض لنعيم الدنيا إذا آتى حق الله في أمواله. فقيل: أرادوا أن لك أن تأخذ ما أحل الله لك، وإضافة النصيب إلى ضميره دالة على أنه حقه وأن للمرء الانتفاع بماله فيما يلائمه في الدنيا خاصة مما ليس من القربات ولم يكن حرامًا. قال مالك: في رأيي معنى ﴿وَلَا تَنْسَ نَصِيبَكَ مِنَ الدُّنْيَا﴾ تعيش وتأكل وتشرب غير مضيق عليك. وقال قتادة: نصيب الدنيا هو الحلال كله. وبذلك تكون هذه الآية مثالا لاستعمال صيغة النهي لمعنى الإباحة"[٣].

٣- ﴿وَأَحْسِنْ كَما أَحْسَنَ اللهُ إِلَيْكَ﴾ حذف متعلق الإحسان لتعميم ما يُحسن إليه فيشمل نفسه وقومه ودوابه ومخلوقات الله الداخلة في دائرة التمكن من الإحسان إليها، فهذا أمر بالإحسان مطلقًا بعد الأمر بالإحسان بالمال، ويدخل فيه الإعانة بالمال والجاه، وطلاقة الوجه، وحسن اللقاء، وحسن السمعة، أي أنه جمع بين الإحسان المادي والإحسان الأدبي أو الخلقي[٤]. وفي الحديث:

---

(١) البخاري ٣٩/٣ كتاب الصوم - باب حق الجسم في الصوم - رقم (١٩٧٥) واللفظ له، ومسلم٨١٣/٢ كتاب الصيام - باب النهي عن صوم الدهر لمن تضرر به - رقم (١١٥٩).

(٢) انظر: ترتيب الأمالي الخميسية للقاضي العبشمي ٢٣١/٢.

(٣) التحرير والتنوير للطاهر بن عاشور ١٧٩/٢٠ بتصرف يسير.

(٤) انظر: التحرير والتنوير للطاهر بن عاشور ١٧٩/٢٠، والتفسير المنير للزحيلي ١٦١/٢٠.

«إِنَّ اللهَ كَتَبَ الْإِحْسَانَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ»[١].

٤- ﴿وَلَا تَبْغِ الْفَسَادَ فِي الْأَرْضِ إِنَّ اللهَ لَا يُحِبُّ الْمُفْسِدِينَ﴾ نهي عن الإفساد في الأرض بهذا الأسلوب الذي ينفي محبة الله للمفسدين، وكأنه يجب على العبد أن يتعامل مع التكليفات الإلهية لا بما يحل وما يحرم فقط، وإنما يسعي فيما يرضي مولاه ويعمل بما يحبه الله، ويجتنب ما يغضبه ويترك ما لا يحبه، وهذه درجة عالية في السلوك لا يفقهها إلا الخواص .

ثالثًا: قوله تعالى: ﴿قَالَ إِنَّمَا أُوتِيتُهُ عَلَى عِلْمٍ عِنْدِي أَوَلَمْ يَعْلَمْ أَنَّ اللهَ قَدْ أَهْلَكَ مِنْ قَبْلِهِ مِنَ الْقُرُونِ مَنْ هُوَ أَشَدُّ مِنْهُ قُوَّةً وَأَكْثَرُ جَمْعًا وَلَا يُسْأَلُ عَنْ ذُنُوبِهِمُ الْمُجْرِمُونَ (٧٨)﴾

١- ﴿قَالَ إِنَّمَا أُوتِيتُهُ عَلَى عِلْمٍ عِنْدِي﴾ الله تعالى مصدر الخير والرزق، وما العبد إلا وسيلة يجب عليه أن يعمل ويكتسب، والله هو الرازق الميسر له أسباب الرزق المانح له الثراء والمال، فيكون هو المستحق للشكر على تلك النعمة، فمن الغباء والجهل أن ينسب الإنسان الخير والفضل لنفسه ومواهبه، أو يدعي أنه الحقيق الجدير بما أعطي، أو ينخدع بأن ما أعطيه دليل على محبة الله ورضاه عنه، فقد يكون العطاء فتنة واستدراجًا، وليس قرينة الرضا والمودة، لذا كان اغترار قارون بكثرة ماله، وادعاؤه أنه أهل له عبثًا باطلا[٢].

قال ابن عجيبة: "إذا خص الله عبدًا بخصوصية فلا ينسبها لنفسه، أو لحوله وقوته، أو لكسبه ومجاهدته، بل يشهدها منَّةً من الله عليه، وسابق عناية منه إليه . قال سهل رضي الله عنه: ما نظر أحد إلى نفسه فأفلح، والسعيد مَن صرف بصره عن أفعاله وأقواله، وفُتح له سبيل رؤية منة الله عليه في

---

(١) مسلم ١٥٤٨/٣ كتاب الصيد والذبائح وما يؤكل من الحيوان – باب الأمر بإحسان الذبح والقتل وتحديد الشفرة – رقم (١٩٥٥) .

(٢) التفسير المنير للزحيلي ١٦٣/٢٠ .

جميع الأفعال والأقوال، والشقي مَنّ زُيِّنَ له في عينه أفعالهُ وأقوالُه وأحواله، فافتخر بها وادعاها لنفسه، فشؤمه أن يُهلكه كما خسف بقارون، لَمّا ادعى لنفسه فضلا"[(١)] .

٢- ﴿أَوَلَمْ يَعْلَمْ أَنَّ اللهَ قَدْ أَهْلَكَ مِنْ قَبْلِهِ مِنَ الْقُرُونِ مَنْ هُوَ أَشَدُّ مِنْهُ قُوَّةً وَأَكْثَرُ جَمْعًا﴾ لما قال قارون ﴿إِنَّمَا أُوتِيتُهُ عَلَى عِلْمٍ عِنْدِي﴾ هذا القول الذي يدل على أنه كان قد بلغ الذروة في الغرور والطغيان وجحود النعمة، جاءه التهديد المصحوب بالسخرية منه ومن كنوزه في قوله تعالى: ﴿أَوَلَمْ يَعْلَمْ أَنَّ اللهَ قَدْ أَهْلَكَ مِنْ قَبْلِهِ مِنَ الْقُرُونِ مَنْ هُوَ أَشَدُّ مِنْهُ قُوَّةً وَأَكْثَرُ جَمْعًا﴾ والمقصود بهذا الاستفهام التعجيب من حاله، والتأنيب له على جهله وغروره، وبيان أن الله أهلك كثيرًا من الأمم الخالية الكافرة، وهم أشد قوة من قارون، وأكثر جمعًا للمال منه، ولو كان المال يدل على فضل لما أهلكهم، والكيّس من اتعظ بغيره واعتبر بمن سبق[(٢)] .

٣- ﴿وَلَا يُسْأَلُ عَنْ ذُنُوبِهِمُ الْمُجْرِمُونَ﴾ لا يسأل المجرمون عن كثرة خطاياهم وسيئاتهم حينما يعاقبهم، لأنه تعالى عليم بكل المعلومات، مطّلع على جميع الأقوال والأفعال، فلا حاجة به إلى السؤال سؤال الاستفسار، كقوله الله تعالى: ﴿وَاللهُ بِما تَعْمَلُونَ عَلِيمٌ﴾ [البقرة: ٢٨٣] .

وسؤال الاستعتاب، كما قال ﷻ: ﴿هذا يَوْمُ لا يَنْطِقُونَ (٣٥) وَلا يُؤْذَنُ لَهُمْ فَيَعْتَذِرُونَ (٣٦) ﴾ [المرسلات: ٣٥- ٣٦] .

لكن لا مانع من سؤال الكافرين والمفرطين سؤال توبيخ وتقريع، كما في قوله تعالى: ﴿فَوَ رَبِّكَ لَنَسْئَلَنَّهُمْ أَجْمَعِينَ (٩٢) عَمَّا كانُوا يَعْمَلُونَ﴾ [الحجر: ٩٢- ٩٣] . وقوله سبحانه: ﴿وَقِفُوهُمْ إِنَّهُمْ مَسْؤُلُونَ (٢٤) ﴾ [الصّافّات: ٢٤] .

---

(١) البحر المديد في تفسير القرآن المجيد لابن عجيبة ٢٧٦/٤ .

(٢) انظر: التفسير الوسيط لسيد طنطاوي ٤٣٧/١٠، والتفسير المنير للزحيلي ١٦٣/٢٠ .

ونظيرها قوله تعالى: ﴿فَيَوْمَئِذٍ لا يُسْئَلُ عَنْ ذَنْبِهِ إِنْسٌ وَلا جَانٌّ﴾ [الرحمن: ٣٩] .

أو نقول: إن في يوم القيامة مواقف، فالمجرمون قد يسألون في موقف، ولا يسألون في موقف آخر، وبذلك يمكن الجمع بين الآيات التي تنفى السؤال والآيات التي تثبته[١] .

رابعًا: قوله تعالى: ﴿فَخَرَجَ عَلَى قَوْمِهِ فِي زِينَتِهِ قَالَ الَّذِينَ يُرِيدُونَ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا يَالَيْتَ لَنَا مِثْلَ مَا أُوتِيَ قَارُونُ إِنَّهُ لَذُو حَظٍّ عَظِيمٍ (٧٩)﴾

١- ﴿فَخَرَجَ عَلَى قَوْمِهِ فِي زِينَتِهِ﴾ أي فخرج ذات يوم على قومه فى زينة عظيمة، وتجمل باهر من مراكب وخدم وحشم، مريدًا بذلك التعالي على الناس وإظهار العظمة، وذلك من الصفات البغيضة والافتخار الممقوت والخيلاء المذمومة لدى عقلاء الناس من جرّاء أنها تقوّض كيان المجتمع وتفسد نظمه، وتفرق شمل الأمة وتقسمها طبقات، وفى ذلك تخاذلها وطمع العدو فى امتلاك ناصيتها.

وفى هذا تحذير لنا أيما تحذير، فكثير ممن يظهرون النعم إنما يريدون التعالي والتفاخر، وكم ممن يقيم الزينات أو يصنع الولائم لعرس أو مأتم، لا يريد بذلك إلا إظهار ثرائه وسعة ماله بين عشيرته وبنى جلدته، فيكون قارون زمانه، وتكون عاقبته الخسف لما أوتيه من مال، ويذهب الله ثراءه ويجعله عبرة لمن اعتبر[٢] .

والأولى لمَن وسّع الله رزقه أن يراعي نفوس مَن حوله ما استطاع ابتغاء مرضاة الله، وفي الحديث: «مَنْ تَرَكَ اللِّبَاسَ تَوَاضُعًا لِلَّهِ وَهُوَ يَقْدِرُ عَلَيْهِ دَعَاهُ اللهُ يَوْمَ القِيَامَةِ عَلَى رُءُوسِ الْخَلَائِقِ

---

(١) انظر: التفسير الوسيط لسيد طنطاوي ١٠ ٤٣٨، والتفسير الوسيط للزحيلي ١٩٣٨/٣ و١٩٣٩ .

(٢) تفسير المراغي ٩٧/٢٠ و٩٨ .

حَتَّى يُخَيِّرَهُ مِنْ أَيِّ حُلَلِ الإِيمَانِ شَاءَ يَلْبَسُهَا»[١] .

٢- ﴿قَالَ الَّذِينَ يُرِيدُونَ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا يَالَيْتَ لَنَا مِثْلَ مَا أُوتِيَ قَارُونُ إِنَّهُ لَذُو حَظٍّ عَظِيمٍ﴾ أي فلما خرج في مظاهر الأبهة كان طبيعيًا أن يفتتن بعض الناس به، وهم السذّج والجهال الذين يريدون الحياة الدنيا، ويميلون إلى زخارفها وزينتها، فتمنوا أن لو كان لهم مثل ما أعطي، وقالوا: يا ليت لنا من الأموال والثروات والأوضاع ما لقارون لنتمتع بها مثله، فإنه ذو نصيب وافر من الدنيا. وهذه نزعة جبلّيّة في الإنسان، فهو دائمًا يطمع في السعة واليسار . قال تعالى: ﴿وَإِنَّهُ لِحُبِّ الْخَيْرِ لَشَدِيدٌ﴾ [العاديات: ٨][٢] .

و﴿الَّذِينَ يُرِيدُونَ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا ﴾ المعني بهم عامة الناس وضعفاء اليقين الذين تلهيهم زخارف الدنيا عما يكون في مطاويها من سوء العواقب، فتقصر بصائرهم عن التدبر إذا رأوا زينة الدنيا، فيتلهفون عليها ولا يتمنون غير حصولها، فهؤلاء وإن كانوا مؤمنين[٣] إلا أن إيمانهم ضعيف فلذلك عظم في عيونهم ما عليه قارون من البذخ[٤].

وفيه بيان أن الفتنة أسرع إلى قلوب الماديين المفتونين بالدنيا وزخرفها من أهل الغفلة عن الآخرة، وما أكثرهم اليوم والعياذ بالله تعالى[٥] . وفي مثل هذا يُذكر قوله تعالى: ﴿وَلَا تَتَمَنَّوْا مَا فَضَّلَ

---

(١) الترمذي ٦٥٠/٤ أبواب صفة القيامة والرقائق والورع - رقم (٢٤٨١) وقال: حديث حسن .

(٢) التفسير المنير للزحيلي ١٦٦/٣٠ .

(٣) قيل: بل كانوا كفارًا، ويرده قولهم الآتي: ﴿لَوْلَا أَنْ مَنَّ اللهُ عَلَيْنَا لَخَسَفَ بِنَا﴾ [انظر: البحر المديد لابن عجيبة ٢٧٧/٤، وتفسير المراغي ٩٩/٣٠] .

(٤) التحرير والتنوير للطاهر بن عاشور ١٨٣/٣٠ .

(٥) انظر: أيسر التفاسير لأبي بكر الجزائري ١٠٢/٤ و١٠٣ .

اللهُ بِهِ بَعْضَكُمْ عَلَى بَعْضٍ﴾ [النساء: ٣٢]

قال ابن عجيبة: "في الآية ترهيب من التعمق في زينة الدنيا والتكاثر بها، ومِن تمنى ما لأربابها مِن غرور زخرفها، وترغيب في الزهد فيها وإيثار الفقر على الغنى، والتبذل والتخشن على ملاذ ملابسها ومطاعمها. قال الشيخ العارف سيدي عبد الرحمن بن يوسف اللجائي: اعلم أن الدنيا إذا عظمت وجلّت في قلب عبد، فإن ذلك العبد يُعظّم قدر مَن أقبلت عليه الدنيا، ويتمنى أن ينال منها ما نال، فإن كل إنسان يعظم ما اشتهت نفسه"[(١)].

٣- ﴿إِنَّهُ لَذُو حَظٍّ عَظِيمٍ﴾ صدقوا إنه لذو حظ عظيم، لو كان الأمر منتهيًا إلى رغباتهم، وأنه ليس وراء الدنيا دار أخرى، فإنه قد أعطي منها ما به غاية التنعم بنعيم الدنيا، واقتدر بذلك على جميع مطالبه، فصار هذا الحظ العظيم بحسب همتهم، وإن همة جعلت هذا غاية مرادها ومنتهى مطلبها لَمِنْ أدنى الهمم وأسفلها وأدناها، وليس لها أدنى صعود إلى المرادات العالية والمطالب الغالية[(٢)].

خامسًا: قوله تعالى: ﴿وَقَالَ الَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ وَيْلَكُمْ ثَوَابُ اللهِ خَيْرٌ لِمَنْ آمَنَ وَعَمِلَ صَالِحًا وَلَا يُلَقَّاهَا إِلَّا الصَّابِرُونَ (٨٠)﴾

١- ﴿وَقَالَ الَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ﴾ أي الشرعي الديني العالمون بالدنيا والآخرة، وأسباب السعادة والشقاء في كل منهما قالوا ما أخبر الله تعالى به عنهم في قوله: ﴿وَيْلَكُمْ ثَوَابُ اللهِ خَيْرٌ لِمَنْ آمَنَ وَعَمِلَ صَالِحًا﴾، وفي الآية دليل قوي على أن الجهل بالله وشرائعه ووعده ووعيده هو سبب كل شر وفساد في الأرض، وأن العلم بذلك هو سبيل الإصلاح في الأرض، حيث بينت موقف أهل العلم

---

(١) البحر المديد لابن عجيبة ٤/٢٧٩ بتصرف يسير .

(٢) تيسير الكريم الرحمن للسعدي صـ٦٢٤ .

الديني وأنهم رشَّد أي حكماء يأمرون بالمعروف وينهون عن المنكر[١] .

٢- اللين في الموعظة مطلوب ولكن الزجر أيضًا مطلوب في محله، ولذا قال أهل العلم في وعظهم للذين يريدون الحياة الدنيا: ﴿وَيْلَكُمْ﴾، والويل: اسم للهلاك وسوء الحال، ويستعمل لفظ (ويل) في التعجب المشوب بالزجر، فليس الذين أوتوا العلم داعين بالويل على الذين يريدون الحياة الدنيا لأن المناسب لمقام الموعظة لين الخطاب ليكون أعون على الاتعاظ، ولكنهم يتعجبون من تعلق نفوس أولئك بزينة الحياة الدنيا واغتباطهم بحال قارون دون اهتمام بثواب الله[٢].

٣- ﴿ثَوَابُ اللهِ خَيْرٌ لِمَنْ آمَنَ وَعَمِلَ صَالِحًا﴾ ويكفي في بيان خيرية ثواب الله ما رواه الشيخان عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: قَالَ اللهُ «أَعْدَدْتُ لِعِبَادِي الصَّالِحِينَ مَا لاَ عَيْنٌ رَأَتْ، وَلاَ أُذُنٌ سَمِعَتْ، وَلاَ خَطَرَ عَلَى قَلْبِ بَشَرٍ، فَاقْرَءُوا إِنْ شِئْتُمْ: ﴿فَلَا تَعْلَمُ نَفْسٌ مَا أُخْفِيَ لَهُمْ مِنْ قُرَّةِ أَعْيُنٍ﴾ [السجدة: ١٧]»[٣] .

ونظير الآية قوله تعالى: ﴿بَلْ تُؤْثِرُونَ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا (١٦) وَالْآخِرَةُ خَيْرٌ وَأَبْقَى (١٧) ﴾ [الأعلى: ١٦، ١٧]

٤- ﴿وَلَا يُلَقَّاهَا إِلَّا الصَّابِرُونَ﴾ فيه بيان فضيلة الصبر، وهو أنواع: صبر على المأمور، وصبر عن المحظور، وصبر على المقدور .

سادسًا: قوله تعال: ﴿فَخَسَفْنَا بِهِ وَبِدَارِهِ الْأَرْضَ فَمَا كَانَ لَهُ مِنْ فِئَةٍ يَنْصُرُونَهُ مِنْ دُونِ اللهِ وَمَا كَانَ

---

(١) انظر: أيسر التفاسير للجزائري ١٠٢/٤ .

(٢) التحرير والتنوير للطاهر بن عاشور ١٨٤/٢٠ .

(٣) البخاري ١١٨/٤ كتاب بدء الخلق – باب ما جاء في صفة الجنة وأنها مخلوقة – رقم (٣٢٤٤) واللفظ له، ومسلم ٢١٧٤/٤ كتاب الجنة وصفة نعيمها وأهلها – رقم (٢٨٢٤) .

مِنَ الْمُنْتَصِرِينَ (٨١) ﴾

١- ﴿فَخَسَفْنَا بِهِ وَبِدَارِهِ الْأَرْضَ﴾ الفاء هنا: للترتيب والتعقيب فقد خُسف به يوم خروجه في زينته، فإنه لما قام باستعراض عظمته وقوته وأبهته، تعاليًا على الناس وإذلالا للنفوس وكسرًا للقلوب، عاقبه الله بالخسف والزلزال[١] .

وعاقبة الخيلاء وخيمة، ففي الحديث: «بَيْنَمَا رَجُلٌ يَجُرُّ إِزَارَهُ مِنَ الخُيَلاَءِ، خُسِفَ بِهِ، فَهُوَ يَتَجَلْجَلُ فِي الأَرْضِ إِلَى يَوْمِ القِيَامَةِ»[٢] .

وقد غفل كثير من الناس عن المقصد من المال، فأنفقوه قاصدين به الرياء والمباهاة، فضاعت دورهم وأموالهم، وأصبحت ملكًا لغيرهم، وهذا هو الخسف العظيم، وما خسف قارون بشيء إذا قيس بهذا[٣] .

٢- ﴿فَمَا كَانَ لَهُ مِنْ فِئَةٍ يَنْصُرُونَهُ مِنْ دُونِ اللهِ﴾ أى: فما كان لقارون من جماعة أو عصبة تنصره من عذاب الله[٤]، فالصحبة التي اجتمعت حولك وأنت عاصٍ لربك مجرد منتفعون من اتباعك للشهوات، وعند الأمور العظام سينفضوا من حولك ولن ينفعوك . قال تعالى: ﴿الْأَخِلَّاءُ يَوْمَئِذٍ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ عَدُوٌّ إِلَّا الْمُتَّقِينَ﴾ [الزخرف: ٦٧] .

٣- ﴿وَمَا كَانَ مِنَ الْمُنْتَصِرِينَ﴾ أي ولا استطاع أن ينتصر لنفسه، وقصارى ذلك: أنه لا ناصر له من غيره ولا من نفسه، فكيف يكون للأمة الغافلة عن أوامر دينها، الجاهلة بمقاصد شريعتها فى إنفاق الأموال أن تجد مناصًا من خراب الديار، وإضاعة المجد الطارف والتالد، وهكذا حال من

---

(١) انظر: أيسر التفاسير للجزائري ١٠٢/٤ الحاشية، والتفسير المنير للزحيلي ١٦٥/٢٠ .

(٢) البخاري ١٧٧/٤ كتاب أحاديث الأنبياء – باب حديث الغار – رقم (٣٤٨٥) .

(٣) تفسير المراغي ١٠٠/٢٠ .

(٤) التفسير الوسيط لسيد طنطاوي ٤٤٠/١٠ .

تصرّف فى ماله تصرف السفهاء وركب رأسه، وصار يبعثره يمنة ويسرة، فإنه سيندم ولات ساعة مندم[١].

سابعًا: قوله تعالى: ﴿ وَأَصْبَحَ الَّذِينَ تَمَنَّوْا مَكَانَهُ بِالْأَمْسِ يَقُولُونَ وَيْكَأَنَّ اللهَ يَبْسُطُ الرِّزْقَ لِمَنْ يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ وَيَقْدِرُ لَوْلَا أَنْ مَنَّ اللهُ عَلَيْنَا لَخَسَفَ بِنَا وَيْكَأَنَّهُ لَا يُفْلِحُ الْكَافِرُونَ (٨٢) ﴾

١- ﴿وَأَصْبَحَ الَّذِينَ تَمَنَّوْا مَكَانَهُ بِالْأَمْسِ يَقُولُونَ﴾ أن تصل متأخرًا خير من ألا تصل، فالذين كانوا يتمنون منزلة قارون ندموا على تمنيهم لما رأوا سوء عاقبته، وامتلكهم العجب من تلك القصة ومن خفي تصرفات الله تعالى في خلقه، وعلموا وجوب الرضى بما قدر للناس من الرزق، فخاطب بعضهم بعضًا بذلك وأعلنوه، وفي الآية بيان أن وجود الإيمان خير من عدمه وإن قل، وأن ذا الإيمان أقرب إلى التوبة ممن لا إيمان له[٢].

٢- ﴿وَيْكَأَنَّ اللهَ يَبْسُطُ الرِّزْقَ لِمَنْ يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ وَيَقْدِرُ﴾ إن الله يوسع الرزق أو العطاء المادّي لمن يريد من خلقه، ويضيّقه على مَن يريد من عباده، بحسب حكمته ومشيئته، وليس المال المعطى دليلا على رضا الله ومحبته لصاحبه، ولا منع المال برهانًا على سخط الله وكراهيته لعبده، فإن الله يعطي ويمنع، ويضيّق ويوسّع، ويخفض ويرفع، وله الحكمة التامة والحجة البالغة[٣] .

ومصداق ذلك حديث: «إِنَّ اللهَ قَسَمَ بَيْنَكُمْ أَخْلَاقَكُمْ كَمَا قَسَمَ بَيْنَكُمْ أَرْزَاقَكُمْ، وَإِنَّ اللهَ يُعْطِي الدُّنْيَا مَنْ يُحِبُّ وَمَنْ لَا يُحِبُّ، وَلَا يُعْطِي الْإِيمَانَ إِلَّا مَنْ يُحِبُّ»[٤] .

٣- ﴿وَيْكَأَنَّهُ لَا يُفْلِحُ الْكَافِرُونَ﴾ تبينت الحقيقة لمن افتتنوا بالمال، وظهر لهم أن الكافر مهما

---

(١) انظر: تفسير المراغي ١٠٠/٢٠ .

(٢) انظر: التحرير والتنوير للطاهر بن عاشور ١٨٨/٢٠، وأيسر التفاسير للجزائري ١٠٣/٤ .

(٣) التفسير الوسيط للزحيلي ١٩٤٠/٣ .

(٤) المستدرك للحاكم ٨٨/١ كتاب الإيمان – رقم (٩٤) وقال: صحيح الإسناد، ووافقه الذهبي .

علا في الأرض فحاله إلى الخسف، ولا يفلح ولا ينفع مع الكفر شيء، فالإيمان يحفظ النّعم وإن قلّت، والكفر يمحقها وإن كثُرت، فهل من معتبر؟ قال تعالى: ﴿وَضَرَبَ اللهُ مَثَلًا قَرْيَةً كَانَتْ آمِنَةً مُطْمَئِنَّةً يَأْتِيهَا رِزْقُهَا رَغَدًا مِنْ كُلِّ مَكَانٍ فَكَفَرَتْ بِأَنْعُمِ اللهِ فَأَذَاقَهَا اللهُ لِبَاسَ الْجُوعِ وَالْخَوْفِ بِمَا كَانُوا يَصْنَعُونَ﴾ [النحل: ١١٢] .

ثامنًا: قوله تعالى: ﴿تِلْكَ الدَّارُ الْآخِرَةُ نَجْعَلُهَا لِلَّذِينَ لَا يُرِيدُونَ عُلُوًّا فِي الْأَرْضِ وَلَا فَسَادًا وَالْعَاقِبَةُ لِلْمُتَّقِينَ (٨٣)﴾

١- ﴿تِلْكَ الدَّارُ الْآخِرَةُ نَجْعَلُهَا لِلَّذِينَ لَا يُرِيدُونَ عُلُوًّا فِي الْأَرْضِ وَلَا فَسَادًا﴾ هذا إخبار من الله تعالى لنبيّه محمد - ﷺ - بقانونه العام يُراد به حضّ الناس على إحسان العمل وإتقانه، والتحذير من سوء العمل وإفساده، ولوم قارون ونظرائه الذين آثروا الدنيا على الآخرة، فإن الآخرة ليست في حسابات قارون، إنما هي لمن اتّصف بصفات معينة بينتها الآية الكريمة، التي دلّت على أن التواضع لله والناس أمر محمود، وأن العلو مذموم، وأن فعل الصلاح خير، وأن الفساد والإفساد شرّ ودمار[١] .

٢- قال علي - رضي الله عنه - فيما رواه ابن جرير عنه[٢]-: إن الرجل ليعجبه من شراك نعله أن يكون أجود من شراك نعل صاحبه، فيدخل في قوله تعالى: ﴿تِلْكَ الدَّارُ الْآخِرَةُ نَجْعَلُهَا لِلَّذِينَ لَا يُرِيدُونَ عُلُوًّا فِي الْأَرْضِ وَلَا فَسَادًا﴾.

قال ابن كثير[٣]: وهذا محمول على ما إذا أراد بذلك الفخر والتطاول على غيره، فإن ذلك

---

(١) انظر: التفسير الوسيط للزحيلي ١٩٤٢/٣ .

(٢) انظر: جامع البيان ٦٣٨/١٩ .

(٣) انظر: تفسير ابن كثير ٢٥٩/٦ .

مذموم، كما ثبت في الحديث الصحيح عن النبي - ﷺ - أنه قال: «إِنَّ اللهَ أَوْحَى إِلَيَّ أَنْ تَوَاضَعُوا حَتَّى لَا يَفْخَرَ أَحَدٌ عَلَى أَحَدٍ، وَلَا يَبْغِي أَحَدٌ عَلَى أَحَدٍ»(١) .

وأما إذا أحب ذلك لمجرد التجمل فهذا لا بأس به، فقد ثبت- فيما روى مسلم - أن النبي ﷺ قال: «لَا يَدْخُلُ الْجَنَّةَ مَنْ كَانَ فِي قَلْبِهِ مِثْقَالُ ذَرَّةٍ مِنْ كِبْرٍ» قَالَ رَجُلٌ: إِنَّ الرَّجُلَ يُحِبُّ أَنْ يَكُونَ ثَوْبُهُ حَسَنًا وَنَعْلُهُ حَسَنَةً، قَالَ: «إِنَّ اللهَ جَمِيلٌ يُحِبُّ الْجَمَالَ، الْكِبْرُ بَطَرُ الْحَقِّ، وَغَمْطُ النَّاسِ»(٢) .

وعليه فالعلو الممنوع: ما كان على طريق التكبر على الغير والتطاول على الناس، وليس منه طلب العلو في الحق، والرئاسة في الدين، ولا محبة اللباس الحسن، والمركوب الحسن، والمنزل الحسن(٣) .

٣- ﴿وَالْعَاقِبَةُ لِلْمُتَّقِينَ﴾ الجنة ونعيمها والعاقبة المحمودة للمؤمنين المتقين المتواضعين الذين لا يقصدون رفعة وتكبرًا على الإيمان والمؤمنين، ولا فسادًا بعمل المعاصي وأخذ المال بغير حق، وذلك من لم يكن مثل فرعون وقارون(٤).

٤- كان للسلف مع هذه الآية أحوال منها:

= كان عمر بن عبد العزيز - رضي الله عنه - يردد هذه الآية حتى قبض(٥).

---

(١) مسلم ٢١٩٨/٤ كتاب الجنة وصفة نعيمها وأهلها – باب الصفات التي يعرف بها في الدنيا أهل الجنة وأهل النار– رقم (٢٨٦٥) .

(٢) مسلم ٩٣/١ كتاب الإيمان – باب تحريم الكبر وبيانه – رقم (٩١) [ش: (بطر الحق) هو دفعه وإنكاره ترفعا وتجبرا، (غمط الناس) معناه احتقارهم] .

(٣) انظر: فتح القدير للشوكاني ٢١٧/٤ .

(٤) التفسير المنير للزحيلي ١٧٢/٢٠ .

(٥) المصدر السابق .

= قرأ الفضل بن عياض هذه الآية ثم قال: ذهبت الأماني ها هنا، أي: أماني الذين يزعمون أنه لا يضر مع الإيمان شيء وأن المؤمنين كلهم ناجون من العقاب[١].

= روى سفيان بن عيينة أن عليا بن الحسين وهو راكب مرَّ على مساكين يأكلون كسرًا لهم، فسلّم عليهم فدعوه إلى طعامهم، فتلا هذه الآية ثم نزل وأكل معهم[٢].

---

(١) أيسر التفاسير للجزائري ١٠٤/٤ الحاشية .

(٢) المصدر السابق .

المراجع

١) إرشاد العقل السليم إلى مزايا الكتاب الكريم، المؤلف: أبو السعود العمادي محمد بن محمد بن مصطفى (المتوفى: ٩٨٢هـ)، الناشر: دار إحياء التراث العربي - بيروت.

٢) أنوار التنزيل وأسرار التأويل، المؤلف: ناصر الدين أبو سعيد عبد الله بن عمر بن محمد الشيرازي البيضاوي (المتوفى: ٦٨٥هـ)، المحقق: محمد عبد الرحمن المرعشلي، الناشر: دار إحياء التراث العربي - بيروت، الطبعة: الأولى - ١٤١٨ هـ.

٣) أيسر التفاسير لكلام العلي الكبير، المؤلف: جابر بن موسى بن عبد القادر بن جابر أبو بكر الجزائري، الناشر: مكتبة العلوم والحكم، المدينة المنورة، المملكة العربية السعودية، الطبعة: الخامسة، ١٤٢٤هـ.

٤) بحر العلوم، المؤلف: أبو الليث نصر بن محمد بن أحمد بن إبراهيم السمرقندي (المتوفى: ٣٧٣هـ)، تحقيق: د.محمود مطرجي، دار النشر: دار الفكر - بيروت.

٥) البحر المحيط في التفسير، المؤلف: أبو حيان محمد بن يوسف بن علي بن يوسف بن حيان أثير الدين الأندلسي (المتوفى: ٧٤٥هـ)، المحقق: صدقي محمد جميل، الناشر: دار الفكر - بيروت، الطبعة: ١٤٢٠ هـ.

٦) البحر المديد في تفسير القرآن المجيد، المؤلف: أبو العباس أحمد بن محمد بن المهدي بن عجيبة الحسني الأنجري الفاسي الصوفي (المتوفى: ١٢٢٤هـ)، المحقق: أحمد عبد الله القرشي رسلان، الناشر: الدكتور حسن عباس زكي - القاهرة، الطبعة: ١٤١٩ هـ.

٧) التبيان في إعراب القرآن، المؤلف: أبو البقاء عبد الله بن الحسين بن عبد الله العكبري، (المتوفى: ٦١٦هـ)، المحقق: علي محمد البجاوي، الناشر: عيسى البابي الحلبي وشركاه.

٨) التحرير والتنوير «تحرير المعنى السديد وتنوير العقل الجديد من تفسير الكتاب المجيد»، المؤلف: محمد الطاهر بن محمد بن محمد الطاهر بن عاشور التونسي (المتوفى: ١٣٩٣هـ)، الناشر: الدار التونسية للنشر - تونس، سنة النشر: ١٩٨٤ هـ.

٩) ترتيب الأمالي الخميسية للشجري، مؤلف الأمالي: يحيى (المرشد بالله) بن الحسين (الموفق) بن إسماعيل بن زيد الحسني الشجري الجرجاني (المتوفى ٤٩٩ هـ)، رتبها: القاضي محيي الدين محمد بن أحمد القرشي العبشمي (المتوفى: ٦١٠هـ)، تحقيق: محمد حسن محمد حسن إسماعيل، الناشر: دار الكتب العلمية، بيروت - لبنان، الطبعة: الأولى، ١٤٢٢ هـ.

١٠) التسهيل لعلوم التنزيل، المؤلف: أبو القاسم، محمد بن أحمد بن محمد بن عبد الله، ابن جزي الكلبي الغرناطي (المتوفى: ٧٤١هـ)، المحقق: الدكتور عبد الله الخالدي، الناشر: شركة دار الأرقم بن أبي الأرقم - بيروت، الطبعة: الأولى - ١٤١٦ هـ.

١١) تفسير القرآن، المؤلف: أبو المظفر، منصور بن محمد بن عبد الجبار ابن أحمد المروزى السمعاني التميمي الحنفي ثم الشافعي (المتوفى: ٤٨٩هـ)، المحقق: ياسر بن إبراهيم وغنيم بن عباس بن غنيم، الناشر: دار الوطن، الرياض - السعودية، الطبعة: الأولى، ١٤١٨هـ.

١٢) تفسير القرآن العزيز، المؤلف: أبو عبد الله محمد بن عبد الله بن عيسى بن محمد المري، الإلبيري المعروف بابن أبي زَمَنِين المالكي (المتوفى: ٣٩٩هـ)، المحقق: أبو عبد الله حسين بن عكاشة - محمد بن مصطفى الكنز، الناشر: الفاروق الحديثة - مصر/ القاهرة، الطبعة: الأولى، ١٤٢٣هـ.

١٣) تفسير القرآن العظيم، المؤلف: أبو الفداء إسماعيل بن عمر بن كثير القرشي البصري ثم الدمشقي (المتوفى: ٧٧٤هـ)، المحقق: سامي بن محمد سلامة، الناشر: دار طيبة للنشر

والتوزيع، الطبعة: الثانية ١٤٢٠هـ.

١٤) تفسير القرآن العظيم لابن أبي حاتم، المؤلف: أبو محمد عبد الرحمن بن محمد بن إدريس بن المنذر التميمي، الحنظلي، الرازي ابن أبي حاتم (المتوفى: ٣٢٧هـ)، المحقق: أسعد محمد الطيب، الناشر: مكتبة نزار مصطفى الباز - المملكة العربية السعودية، الطبعة: الثالثة - ١٤١٩ هـ.

١٥) تفسير المراغي، المؤلف: أحمد بن مصطفى المراغي (المتوفى: ١٣٧١هـ)، الناشر: شركة مكتبة ومطبعة مصطفى البابى الحلبي وأولاده بمصر، الطبعة: الأولى، ١٣٦٥ هـ.

١٦) التفسير المظهري، المؤلف: المظهري، محمد ثناء الله، المحقق: غلام نبي التونسي، الناشر: مكتبة الرشدية - الباكستان، الطبعة: ١٤١٢ هـ.

١٧) التفسير المنير في العقيدة والشريعة والمنهج، المؤلف: د وهبة بن مصطفى الزحيلي، الناشر: دار الفكر المعاصر - دمشق، الطبعة: الثانية، ١٤١٨ هـ.

١٨) التفسير الوسيط للزحيلي، المؤلف: د وهبة بن مصطفى الزحيلي، الناشر: دار الفكر - دمشق، الطبعة: الأولى - ١٤٢٢ هـ.

١٩) التفسير الوسيط للقرآن الكريم، المؤلف: محمد سيد طنطاوي، الناشر: دار نهضة مصر للطباعة والنشر والتوزيع، الفجالة - القاهرة.

٢٠) تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان، المؤلف: عبد الرحمن بن ناصر بن عبد الله السعدي (المتوفى: ١٣٧٦هـ)، المحقق: عبد الرحمن بن معلا اللويحق، الناشر: مؤسسة الرسالة، الطبعة: الأولى ١٤٢٠هـ.

٢١) جامع البيان في تأويل القرآن، المؤلف: محمد بن جرير بن يزيد بن كثير بن غالب الآملي، أبو جعفر الطبري (المتوفى: ٣١٠هـ)، المحقق: أحمد محمد شاكر، الناشر: مؤسسة الرسالة، الطبعة: الأولى، ١٤٢٠ هـ.

٢٢) الجامع لأحكام القرآن، المؤلف: أبو عبد الله محمد بن أحمد بن أبي بكر بن فرح الأنصاري الخزرجي شمس الدين القرطبي (المتوفى: ٦٧١هـ)، تحقيق: أحمد البردوني وإبراهيم أطفيش، الناشر: دار الكتب المصرية - القاهرة، الطبعة: الثانية، ١٣٨٤هـ.

٢٣) الدر المنثور، المؤلف: عبد الرحمن بن أبي بكر، جلال الدين السيوطي (المتوفى: ٩١١هـ)، الناشر: دار الفكر - بيروت.

٢٤) روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني، المؤلف: شهاب الدين محمود بن عبد الله الحسيني الألوسي (المتوفى: ١٢٧٠هـ)، المحقق: علي عبد الباري عطية، الناشر: دار الكتب العلمية - بيروت، الطبعة: الأولى، ١٤١٥ هـ.

٢٥) زاد المسير في علم التفسير، المؤلف: جمال الدين أبو الفرج عبد الرحمن بن علي بن محمد الجوزي (المتوفى: ٥٩٧ هـ)، المحقق: عبد الرزاق المهدي، الناشر: دار الكتاب العربي - بيروت، الطبعة: الأولى - ١٤٢٢ هـ.

٢٦) سنن الترمذي، المؤلف: محمد بن عيسى بن سَوْرة بن موسى بن الضحاك، الترمذي، أبو عيسى (المتوفى: ٢٧٩هـ)، تحقيق وتعليق: أحمد محمد شاكر وآخرين، الناشر: شركة مكتبة ومطبعة مصطفى البابي الحلبي - مصر.
الطبعة: الثانية، ١٣٩٥ هـ

٢٧) الصحاح تاج اللغة وصحاح العربية، المؤلف: أبو نصر إسماعيل بن حماد الجوهري الفارابي (المتوفى: ٣٩٣هـ)، تحقيق: أحمد عبد الغفور عطار، الناشر: دار العلم للملايين - بيروت، الطبعة: الرابعة ١٤٠٧ هـ.

٢٨) صحيح البخاري = الجامع المسند الصحيح المختصر من أمور رسول الله ﷺ وسننه وأيامه، المؤلف: محمد بن إسماعيل أبو عبدالله البخاري الجعفي، المحقق: محمد زهير بن ناصر الناصر، الناشر: دار طوق النجاة (مصورة عن السلطانية بإضافة ترقيم

ترقيم محمد فؤاد عبد الباقي)، الطبعة: الأولى، ١٤٢٢هـ.

٢٩) صحيح مسلم = المسند الصحيح المختصر بنقل العدل عن العدل إلى رسول الله ﷺ، المؤلف: مسلم بن الحجاج أبو الحسن القشيري النيسابوري (المتوفى: ٢٦١هـ)، المحقق: محمد فؤاد عبد الباقي، الناشر: دار إحياء التراث العربي - بيروت.

٣٠) غرائب القرآن ورغائب الفرقان، المؤلف: نظام الدين الحسن بن محمد بن حسين القمي النيسابوري (المتوفى: ٨٥٠هـ)، المحقق: الشيخ زكريا عميرات، الناشر: دار الكتب العلميه - بيروت، الطبعة: الأولى - ١٤١٦ هـ.

٣١) فتح القدير، المؤلف: محمد بن علي بن محمد بن عبد الله الشوكاني اليمني (المتوفى: ١٢٥٠هـ)، الناشر: دار ابن كثير، دار الكلم الطيب - دمشق، بيروت، الطبعة: الأولى - ١٤١٤ هـ.

٣٢) الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل، المؤلف: أبو القاسم محمود بن عمرو بن أحمد، الزمخشري جار الله (المتوفى: ٥٣٨هـ)، الناشر: دار الكتاب العربي - بيروت، الطبعة: الثالثة - ١٤٠٧ هـ.

٣٣) الكشف والبيان عن تفسير القرآن، المؤلف: أحمد بن محمد بن إبراهيم الثعلبي، أبو إسحاق (المتوفى: ٤٢٧هـ)، تحقيق: الإمام أبي محمد بن عاشور، مراجعة وتدقيق: الأستاذ نظير الساعدي، الناشر: دار إحياء التراث العربي، بيروت - لبنان، الطبعة: الأولى ١٤٢٢ هـ.

٣٤) اللباب في علوم الكتاب، المؤلف: أبو حفص سراج الدين عمر بن علي بن عادل الحنبلي الدمشقي النعماني (المتوفى: ٧٧٥هـ)، المحقق: الشيخ عادل أحمد عبد الموجود والشيخ علي محمد معوض، الناشر: دار الكتب العلمية - بيروت / لبنان، الطبعة: الأولى، ١٤١٩ هـ.

٣٥) محاسن التأويل، المؤلف: محمد جمال الدين بن محمد سعيد بن قاسم الحلاق القاسمي (المتوفى: ١٣٣٢هـ)، المحقق: محمد باسل عيون السود، الناشر: دار الكتب العلميه - بيروت، الطبعة: الأولى - ١٤١٨ هـ.

٣٦) المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز، المؤلف: أبو محمد عبد الحق بن غالب بن عبد الرحمن بن تمام بن عطية الأندلسي المحاربي (المتوفى: ٥٤٢هـ)، المحقق: عبد السلام عبد الشافي محمد، الناشر: دار الكتب العلمية - بيروت، الطبعة: الأولى - ١٤٢٢ هـ.

٣٧) المستدرك على الصحيحين، المؤلف: أبو عبد الله الحاكم محمد بن عبد الله بن محمد بن حمدويه بن نُعيم بن الحكم الضبي الطهماني النيسابوري المعروف بابن البيع (المتوفى: ٤٠٥هـ)، تحقيق: مصطفى عبد القادر عطا، الناشر: دار الكتب العلمية - بيروت، الطبعة: الأولى، ١٤١١ هـ.

٣٨) معالم التنزيل في تفسير القرآن، المؤلف: محيي السنة، أبو محمد الحسين بن مسعود بن محمد بن الفراء البغوي الشافعي (المتوفى: ٥١٠هـ)، المحقق: عبد الرزاق المهدي الناشر: دار إحياء التراث العربي - بيروت، الطبعة: الأولى، ١٤٢٠ هـ.

٣٩) معاني القرآن وإعرابه، المؤلف: إبراهيم بن السري بن سهل، أبو إسحاق الزجاج (المتوفى: ٣١١هـ)، الناشر: عالم الكتب - بيروت، الطبعة الأولى ١٤٠٨ هـ.

٤٠) المعجم الوسيط، المؤلف: مجمع اللغة العربية بالقاهرة، (إبراهيم مصطفى / أحمد الزيات / حامد عبد القادر / محمد النجار)، الناشر: دار الدعوة.

٤١) مفاتيح الغيب = التفسير الكبير، المؤلف: أبو عبد الله محمد بن عمر بن الحسن بن الحسين التيمي الرازي الملقب بفخر الدين الرازي خطيب الري (المتوفى: ٦٠٦هـ)، الناشر: دار إحياء التراث العربي - بيروت، الطبعة: الثالثة - ١٤٢٠ هـ.

٤٢) المفردات في غريب القرآن، المؤلف: أبو القاسم الحسين بن محمد المعروف بالراغب الأصفهانى (المتوفى: ٥٠٢هـ)، المحقق: صفوان عدنان الداودي، الناشر: دار القلم، الدار الشامية – دمشق بيروت، الطبعة: الأولى – ١٤١٢ هـ.

٤٣) نظم الدرر في تناسب الآيات والسور، المؤلف: إبراهيم بن عمر بن حسن الرباط بن علي بن أبي بكر البقاعي (المتوفى: ٨٨٥هـ)، الناشر: دار الكتاب الإسلامي، القاهرة.

٤٤) النكت والعيون، المؤلف: أبو الحسن علي بن محمد بن محمد بن حبيب البصري البغدادي، الشهير بالماوردي (المتوفى: ٤٥٠هـ)، المحقق: السيد ابن عبد المقصود بن عبد الرحيم، الناشر: دار الكتب العلمية – بيروت / لبنان.

٤٥) الهداية إلى بلوغ النهاية في علم معاني القرآن وتفسيره، وأحكامه، وجمل من فنون علومه، المؤلف: أبو محمد مكي بن أبي طالب حَمّوش بن محمد بن مختار القيسي القيرواني ثم الأندلسي القرطبي المالكي (المتوفى: ٤٣٧هـ)، المحقق: مجموعة رسائل جامعية بكلية الدراسات العليا والبحث العلمي – جامعة الشارقة، بإشراف أ.د: الشاهد البوشيخي، الناشر: مجموعة بحوث الكتاب والسنة – كلية الشريعة والدراسات الإسلامية – جامعة الشارقة، الطبعة: الأولى، ١٤٢٩ هـ.

فهرس موضوعات البحث

ملخص البحث باللغة العربية..... ١١٢
ملخص البحث باللغة الإنجليزية..... ١١٣
الـمقدمة ١١٤
خطة البحث: ١١٦
التمهيد ١١٧
المطلب الأول: التعريف بسورة القصص: ١١٧
الـمطلب الثاني: موقع قصة قارون من سورة القصص:..... ١١٨
الـمبحث الأول: قارون المترف الباغي..... ١٢٠
أولاً: الآيات:..... ١٢٠
ثانيًا: بيان ما اشتملت عليه الآيات من صفات قارون:..... ١٢٠
المبحث الثاني: توجيهات سديدة في التعامل مع المال في ضوء نُصح قومه له ١٢٦
أولا: الآيات:..... ١٢٦
ثانيًا: بيان ما اشتملت عليه الآيات من نصائح قوم موسى عليه السلام لقارون:..... ١٢٦
قارون لم يقبل النصيحة والوعظ: ١٢٩
الـمبحث الثالث: زينة المال ومواقف الناس منها ودور العلم في تهذيب أهله ١٣٢
أولا: الآيات:..... ١٣٢
ثانيًا: بيان ما اشتملت عليه من مواقف الناس في الافتتان بزينة المال:..... ١٣٢
الـمبحث الرابع: عاقبة البغي بالمال ١٣٥
أولا: الآيات:..... ١٣٥
ثانيًا: بيان ما عوقب به قارون وما ختمت به قصته:..... ١٣٥

المبحث الخامس: الدروس والعبر ١٤١
المراجع..... ١٥٧
فهرس موضوعات البحث ١٦٤

تم بحمد الله تعالى